

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نيل فاروق

سادة الأعماق

- متى يستيقظ (نور) و (سلوى) من غيوبتهما العميقة ؟
- هل يمكن أن توجد مخلوقات عاقلة ، على عمق كيلومترين من سطح المحيط الأطلنطي ؟
- كيف يواجه (رمزي) وحده هذه المغامرة أيضا ، ضد (سادة الأعماق) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع الفريق في الأحداث ..

٦٢



التمن في مصر
٩٠
وما يعادله بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم

العدد القادم : المحيط المتهب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٩٠٨٤٥٥ - القاهرة - ت. ٩٠٨٤٥٥

www.dvd4arab.com

١ - المجهول ..

أطلق (رمزي) ، من أعماق أعماق صدره زفرة قويّة ، وهو يتطلّع إلى المحيط الأطلنطي الممتد أمامه ، مستندًا إلى حاجز الحوّامة الجوّبرمائية (الهوفر كرافت) (*) ، التي تشق به المحيط ، في طريقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، في الأيام الأولى لصيف عام ألفين وأحد عشر .

وفي هدوء اقتربت منه (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، واستندت بدورها إلى حاجز الحوّامة ، وراحت تشاركه تطلّعه إلى المحيط في صمت ، وقد اكتست عيناها بذبول بئس حزين ، شاركتها فيه عينا (رمزي) ، وهو يمسح بكفّه على شعرها الناعم المسترسل ، في حنان وتعاطف ..
كان قد مضى عام كامل ، منذ سقط (نور) و (سلوى)

(*) الهوفر كرافت : نوع من المركبات الحديثة ، يعتمد على صنع وسادة هوائية أسفل بدفع الهواء القوى ؛ لذا فهي تصلح للسير في البحر والبر ، وهي دوّما معلقة على وسادتها الهوائية جوًّا .



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

في غيوبتهما العميقة المجهولة ، لدى عودتهما من أرض
العمالقة^(*) ، ومنذ تولّى (رمزي) أمر ابنتهما (نشوى) ،
التي بلغت العاشرة من عمرها ، واكتست حياتها بالحزن على
والديها ، والأمل في عودتهما إلى وعيها يوماً ..

وفيما مضى ، كان السؤال التقليدي لـ (نشوى) هو :
« متى يعودان إلى وعيها ياعمى (رمزي) » ، أما الآن فلم
تُعَد (نشوى) تُلقى هذا السؤال ، كانت تكتفى بزيارة
والديها بانتظام فحسب ، والوقوف أمامهما بالساعات ، في
صمت حزين ..

لقد نضجت الطفلة قبل الأوان ..

أنضجتها تجربة الألم والمرارة ..

أنضجها الحزن ..

وفي ذلك اليوم ، وهي تتطلع إلى المحيط الممتد ، إلى جوار
(رمزي) ، امتلأ عقلها بصورة والديها ، فأنحدرت على
وجنتها ذمعة ساخنة ، اعتصرت قبضة قوية قلبها الصغير ،
وكادت تجهش بكاء حار ، ولكنها تماسكت ، وبحث عن

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠) .

وسيلة للفرار من الذكرى ، مما دعاها إلى أن تلتفت إلى
(رمزي) ، وتسأله في اهتمام :

— هل ستغيب طويلاً في الولايات المتحدة ياعمى
(رمزي) ؟

ابتسم في حنان ، وهو يجيبها في هدوء :

— أسبوع واحد فقط يا (نشوى) ، سنحضر معاً مؤتمر
الأطباء النفسانيين الدولى ، ثم نعود إلى (القاهرة) .

أجبرت نفسها على الابتسام ، وهي تقول :

— المهم ألا تضيع إجازتى .

ضحك ، وهو يقول :

— ومن قال إنها ستضيع ؟ .. لقد رفضت الذهاب إلى

(أمريكا) بالطائرات النووية ، وكانت رحلتنا بها تستغرق

ساعة واحدة فحسب ، وفضلت أن تستغرق رحلتنا ثلاثة أيام

كاملة ، على متن (هوفر كرافت) ، لأمنحك رحلة بحرية

لطيفة في الوقت ذاته ، ألا تعتبرين ذلك جزءاً من الإجازة ؟

ضحكت ، وهي تقول :

— بالتأكيد .

ثم عادت إلى عينيها تلك النظرة الحزينة ، وهي تُردف :

— وإن كنت أتمنى لو شاركتني فيها

بترت عبارتها ، وكأنها تخشى النطق بالنصف الثاني منها ،
ولكنه فهم ما تقصده ، فربّت على رأسها في حنان ، وقال :
— ربّما في المرّة القادمة .. ربّما .

لم يكذب يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت قبّطان
(الهوفر كرافت) ، وهو يقول :

— إلى المسافرين على متن حوّامتنا السياحية الفاخرة ،
نتمنى أن تكونوا قد استمتعتم برحلتكم معنا حتى الآن ..
ويسرّني أن أعلن عن جزء جديد ، يضاف لأوّل مرّة إلى برنامج
الرحلة .. ألا وهو (نزهة الأعماق) .

كان صوته يتردّد عبر عشرات من مكبرات الصوت ،
ذات درجة النقاء العالية ، التي تمنح صوته رنينًا أنيقًا ، جذب
انتباه الجميع ، وشدّهم إلى سماع حديثه ، وهو يستطرد :

— وبرنامجنا الجديد فريد من نوعه ، فأنتم تعلمون جميعًا أن
المحيط الأطلنطي هو أكثر المحيطات عمقًا ، وغموضًا ، وأن
عمقه قد بلغ في بعض المناطق ، ومنها تلك المنطقة ، التي توقّفنا
فيها الآن ، سبعة كيلومترات .. ومنذ الأزل ، لم يتجاوز هبوط
البشر الأحياء ، في تلك الأعماق ، الكيلومتر الواحد ..

واليوم سنصل بكم نحن إلى عمق كيلومترين كاملين ، حيث لم
يصل بشر من قبل ، في رحلة سياحية نادرة ، تشاهدون فيها
مخلوقات الأعماق النادرة .

صفّقت (نشوى) بكفّيتها في جدل ، وهي تهتف في لهفة :
— سنذهب إلى الأعماق يا عمّي (رمزي) .. أليس
كذلك ؟

ربّت على رأسها في حنان ، وهو يغمغم :
— بالتأكيد .. فقط استمعي إلى ما يقوله القبّطان .

عادا يستمعان إلى القبّطان ، الذي راح يتابع في حماس :
— وستستقلّون في رحلتكم إلى الأعماق غواصتنا الحديثة

(ق — ١) .. التي أغدّناها خصيصًا لكم ، لنضمن أمنكم
وسلامتكم ، و (ق — ١) مصنوعة من معدن شديد
الصلابة والتحمّل .. هو سبيكة من الفولاذ والتّيكل
و (الجرامنيوم) .. ذلك المعدن الحديث ، الذي تصنع منه
المقاتلات الفضائية ، والذي تم كشفه في بداية قرننا الحادي
والعشرين ، ولها نوافذ مصنوعة من زجاج بسمك ست
بوصات ، يقاوم الضغط عن طريق ضغط هوائيّ محسوب بدقّة
متناهية .. وغواصتنا (ق — ١) مزوّدة برصيد من الهواء

النقى المتجدد ، عن طريق كابل ضخيم ، يتصل بخوامتنا
مباشرة ، ويحوى فى داخله ، بالإضافة إلى أنبوب تجديد
الهواء ، الأسلاك اللازمة لنقل الصور ، التى تلتقطها
(ق - ١) للأعماق .. ستضىء (ق - ١) فى قاع المحيط
الأطلنطى كشمس صغيرة ، لتضمن لكم جودة الرؤية ،
حيث يسود الظلام التام فى ذلك العمق ، الذى ستصل إليه ..
كان حديثه ، ولهجته الحماسية يشعلان لهفة المستمعين
وحاسهم ، حتى صار كل منهم يتمنى لو غاص داخل
(ق - ١) إلى الأعماق ، حتى أضاف القبطان :
- ولتأكيد مدى قوة غواصتنا ، وأمنها ، سنفتح رحلاتها
برحلة خاصة للأطفال دون الحادية عشرة من عمرهم ..
وسنمنحهم الفرصة ليكونوا أول رؤاد الأعماق .
صاح عشرات الأطفال فى سعادة وحماس ، والقبطان
يردد :

- نريد ثلاثة أطفال .. الرؤاد الثلاثة الأوائل .
هتف الجميع يرشحون أنفسهم للرحلة ، وصاحت
(نشوى) فى لهفة ، وهى تتشبث بذراع (رمزى) :
- سأذهب يا عمى (رمزى) .. أرجوك .

تردد ، وهو يقول :
- كلاً .. إنها رحلة مخيفة ، وأخشى أن ..
قاطعته فى رجاء :
- أرجوك يا عمى (رمزى) .. إنها فرصة نادرة ..
سأصبح أولى رائدات الأعماق .
ابتسم فى قلق ، وهو يقول :
- ولكن ماذا لو .. ؟
قاطعته فى غضب :
- لا تصنع المخاوف جزافاً يا عمى (رمزى) .. لو أن أبى
هنا لوافق على الفور و ..
بترت عبارتها بغتة ، حينما أدركت كم ستؤلمه كلماتها ،
وارتسم الأسف على وجهها ، وهى تقول .
- معذرة يا عمى (رمزى) .. لم أكن أقصد .
ربت على رأسها فى حنان ، وحزن ، وهو يقول :
- ولكنك كنت على حق .. لم يكن (نور) يمانع .
واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :
- ستذهبين إلى الأعماق بإذن الله يا (نشوى) ..
ستذهبين .

تهللت أسارىها ، واندفعت نحو حجرة القبطان ؛ لتسجل
اسمها ، في تلك الرحلة إلى المجهول ..

رحلة الذهاب ..

الذهاب فقط ..



٢ — الرسالة ..

كانوا ثلاثة أطفال ، في العاشرة من عمرهم ، يهبطون داخل
(ق — ١) إلى أعماق المحيط الأطلنطي ..

(طارق) ، و (هشام) و .. (نشوى) .. ابنة (نور)
و (سلوى) ..

وبينا بدأت (ق — ١) رحلتها ، كانت جدرانها السمكية
تفصل ما بين نوعين مختلفين ، متناقضين من المشاعر ..

لهفة وسعادة ، في نفس (نشوى) ..

وقلق وتوتر ، في قلب (رمزي) ..

وهبطت (ق — ١) ..

وارتجف جسد (رمزي) ..

ارتجف لحظة ، حينما غاصت الفؤادة في الأعماق ، ثم زفر
في قوة ، وغمغم :

— أظن أن (نور) لم يكن ليعرض .

عاد يزفر في قوّة ، ثم اتجه نحو ساحة العرض ، واتخذ مقعده أمام شاشة ضخمة ، تنقل للجالسين على سطح الحوامة ، كل ما يراه الأطفال الثلاثة ، وهم يفرصون في أعماق الأطلنطي ..

في البداية كان ضوء الشمس يتسلّل إلى الماء ، فتبدو الرؤية واضحة ، وتبدو عشرات ومئات القوافل ، من مختلف أنواع الأسماك ، وهي تسبح حول الفؤاصة التجريبية الصغيرة ، وتتطلّع إلى نوافذها الزجاجية السميكة ، على نحو جعل (رمزي) يتساءل :

— مَنْ يراقب مَنْ يا ترى ؟

تحيل إليه أن الأسماك تتطلّع إلى وجوه الصغار ، غير النوافذ الزجاجية ، بنفس الشّعف ، الذي يتطلّع به الصغار إليها .. الفارق الوحيد هو أن أحد المشاهدين وسط الماء ، والآخر في موقع جاف ..

وحينما واصلت (ق — ١) هبوطها ، خفت ضوء الشمس تدريجيًا ، وبدأ الظلام يزحف حول الفؤاصة ، التي أضاءت بأضواء مُبهِرة بعد لحظات ، فعادت الرؤية تتضح مرّة أخرى ، وإن بدا المحيط ، على ذلك العمق ، هادئًا ، خاليًا ،



وبينا بدأت (ق — ١) رحلتها ، كانت جدرانها السميكة تفصل ما بين

نوعين مختلفين ، متناقضين من المشاعر ..

ساكنًا ، إلا من عدد قليل من الأسماك الضخمة ، تظهر في
سرعة ، وتختفي في سرعة ..

ووصلت الفؤاصة الصغيرة إلى عمق كيلومترين ..
إلى أقصى عمق بلغة الإنسان في المحيط ..
إلى حيث يصل ضغط الماء إلى ما يساوي ستين ضغطاً جويّاً
تقريباً (*) ..

إلى حيث يبلغ الظلام مداه ..
ومن العجيب أنه على هذا العمق كانت توجد مخلوقات ..
سبحان الله (العلى القدير) ..
مخلوقات ضئيلة .. دقيقة .. مضيئة ..
مضيئة كمصابيح صغيرة حيّة ، تشق طريقها وسط ظلام
دامس ..

مخلوقات تتجلى فيها قدرة الخالق (عز وجل) ..
ومال الرجل ، الجالس إلى جوار (رمزي) نحوه ،
مغمماً في انبهار :

(*) الضغط الجوي : وزن عمود من الزئبق طوله ٧٦ سم ، ومساحة
مقطعه ١ سم^٢ ، عند سطح البحر .

— يا للروعة !! .. لاشك أن الصغار في قمة سعادتهم
وانبهارهم الآن .

غمغم (رمزي) ، وهو يتابع الشاشة في اهتمام :
— نعم .. لاشك في ذلك .
هزّ الرجل رأسه ، وعاد يقول :
— سبحان الله .. لم أكن أتصوّر أبداً وجود كائنات دقيقة
هكذا ، في مثل هذا العمق .

وافقه (رمزي) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :
— وأنا كذلك ، لقد تصوّرت أنه من الضروري أن تكون
مخلوقات الأعماق بالغة الضخامة ، لتحمل كل هذا الضغط
على الأقل .

عاد الرجل يهزّ رأسه ، قائلاً :
— يبدو أننا سنمضي دهرنا كله ، دون أن ندرك حكمة
الخالق في خلقه .

عاد (رمزي) يوافقه بإيماءة من رأسه ، مغممًا :
— لاشك في هذا .

ثم اعتدل في اهتمام ، وهو يشير إلى الشاشة ، مستطردًا في
انفعال :

— انظر .. هناك جسم متوسط الحجم .
مال الرجل برأسه إلى الأمام ، وهو يسأله في لهفة :
— أين ؟

هتف (رمزي) ، وقد تضاعف انفعاله :
— هناك .. لقد عبر دائرة الضوء في سرعة ، ثم اختفى
خارجها .
هز الرجل رأسه في خيرة وشك ، وهو يغمغم :
— لم ألاحظه .. أنت واثق من أنه ليس مجرد ظلال ،
أو.....؟

قاطعته (رمزي) في توثر :
— أية ظلال في هذا العمق .. لقد كان مخلوقاً حياً ، يتحرك
في مهارة ، و.....
لم يجد ما يعم به وصفه ، فبتر عبارته عند هذا الحد ، ولاذ
بالصمت ، مما دفع الرجل الجالس إلى جواره إلى الابتسام ،
وهو يقول :

— أراهنك أنه خداع بصرى فحسب .
لم يجب (رمزي) ، ولكن شيئاً ما في أعماقه أنبأه بأن ما رآه
ليس خداعاً ..

وإنما هو خطر ..
خطر ما ..

تراخى جفنا ممرضة المراقبة ، في مستشفى (القاهرة)
المركزي ، وخامرها شعور قوى بالملل ، وبعدم جدوى
استمرارها في مراقبة جسدي (نور) و (سلوى) ، اللذين
اتصلا بعشرات الأنابيب والخراطيم ، والأسلاك ، التي تؤمن
لهما التغذية ، وتلتقط كل ما يرسله مُمحاهما ، وقلباهما ، وكل
أجهزتهما الحيويّة ، على هيئة إشارات وعلامات ومنحنيات
إليكترونية ، تملأ شاشات الأجهزة الحديثة ، التي تحيط بهما
من كل جانب ..
ومنذ عام كامل ترسل كل تلك الأجهزة إيقاعات ثابتة
لا تتغير ، حتى بات الأمر رتيباً مضجراً ، يبعث النعاس في
العيون والجفون ..

وانسدل جفنا ممرضة المراقبة في تراخ ..
وفجأة .. تغير الإيقاع ..
تغير على نحو مباغت سريع ، جعل الممرضة تنتفض من
مكانها ، وتهب من مجلسها ، وتحقق في شاشة رسّام المخ
الإليكتروني في دهشة ، ثم تهتف :

— يا إلهي !!... أحان الوقت ؟!... أحان الوقت حقًا ؟!...
وأسرعت تضغط زر الاتصال بالطبيب المعالج ، بأصابع
مرتجفة ، ولم تمض لحظات حتى كان الطبيب المتابع للحالة ،
داخل حجرة العناية المركزة ، يسألها في قلق :

— ماذا حدث ؟

أرادت أن تشرح له ما حدث ، إلا أن انفعالها لم يساعدها ،
إلا على أن تشير بأصابع مرتجفة إلى الشاشة ..
ورفع الطبيب عينيه إلى حيث أشارت ، ثم لم يلبث أن عقد
حاجبيه في شدة ، وهو يتمتم :

— يا إلهي !!... إنه نشاط مُحَيَّ فائق .

أسرع نحو جسد (سلوى) ، وراح يفحصه في سرعة ، وهو
ينقل بصره بين الفينة والفينة إلى شاشة الجهاز ، مغمغمًا :
— عجبًا !!... إن أجهزة الجسم كلها مازالت غارقة في
غيبوبة عميقة .. عدا المخ .

ثم انتقل إلى جسد (نور) ، يفحصه بنفس السرعة
والاهتمام ، إلا أن هذا لم يُورثه سوى المزيد من الدهشة
والخيرة ، فتهد في عمق ، وراح يحك مؤخرة عنقه بأصابعه ،
وهو يغمغم :

— هذا غير طبيعي .. غير طبيعي على الإطلاق .
سألته الممرضة في توثر :
— ماذا يحدث لهما ؟

هز كفيه في خيرة ، وهو يقول :

— إنني لم أشهد مثل ذلك من قبل ، فجسداهما غارقان في
غيبوبتهما ، أمّا عقلاهما فيشهدان نشاطًا مفاجئًا ، كما لو
أنهما .. كما لو أنهما

راح يردّد الجزء الأخير من عبارته في توثر ، مما ألهب فضول
الممرضة ، فهتفت به :

— كما لو أنهما ماذا ؟

تردّد لحظة ، ثم أجاب في شكّ وخفوت :

— كما لو أنهما يتلقيان رسالة .. رسالة عقلية .

ومن العجيب أن تشخيصه كان سليمًا ..

لقد كانا يتلقيان ، رسالة عقلية ..

رسالة تحمل إنذارًا بخطر يتهدّد أحب مخلوقة إلى قلبيهما ..
ابنتهما ..

قلق شديد ، ذلك الذى ملأ نفس (رمزى) ، وهو يتطلع
إلى الشاشة ، بعد أن لمح ذلك الجسم العجيب ، الذى مرق
عبر دائرة الضوء لحظة ..

شئ ما فى أعماقه جعله يشعر بالخوف والقلق على
(نشوى) ..

كان من الممكن أن يكون ذلك الشئ مجرد سمكة ضخمة ،
أو كائن من كائنات الأعماق ، ولكنه لا يدري لم أثار مرآه كل
هذا القلق فى نفسه ..

وفى توثر راح يقول لنفسه :

— لماذا كل هذا القلق يا (رمزى) ؟ .. أكنت تتوقع أن
يخلو المحيط من كل المخلوقات ، مجرد أن (نشوى) ستهبط
إليه ؟ .. لقد كنت تعلم منذ البداية أن (نشوى) ستفرض
وسط محيط يزخر بالكائنات الحية المجهولة ، فلماذا أصابك
القلق الآن ؟ .. ثم إن غواصة التجارب ذات جدران سميكة ،
شديدة الصلابة ، وتحمل أربعة مدافع ليزر قوية ، للدفاع عنها
ضد أى خطر محتمل ، ولا يوجد أدنى مبرر للقلق !

كان يحاول بكلماته تهدئة نفسه ، إلا أن قلقه تضاعف ،

وراح يهتف به :

— ولكن هناك شئ ما أثار قلقك ، على الرغم من كل
محاولاتك لتطمئن نفسك .. نعم .. راجع ذلك المشهد ،
الذى رأيته فى لحظة خاطفة ، وستجد به ما أثار توثرك وقلقك
بالتأكيد .. حاول أن تراجع .. صحيح أنه لم يستغرق سوى
جزء من الثانية ، حتى أن معظم المشاهدين لم يلمحوه
أويلاحظوه ، إلا أنك التقطت منه لحظة خاطفة ، فجرت قلقك
على هذا النحو .. حاول أن تستعيد .. حاول ..

راح يعتصر ذهنه ، محاولاً استرجاع تلك اللحظة الخاطفة ،
التي أثارت انتباهه وقلقه ، فى مشهد استغرق عشر الثانية على
الأكثر ، وأخذ يتابع الشاشة فى توثر بالغ ، وهى تنقل كل
ما يدور حول الغواصة الصغيرة ..

كان المحيط يبدو هادئاً ساكناً ، على نحو بالغ المدى ، كما
لو أن (ق — ١) ، قد هبطت فى منطقة مقفرة منه ،
فباستثناء تلك المخلوقات الضئيلة المضيئة ، ساد سكون رهيب
فى الأعماق ..

وفجأة .. ارتجف المشهد ..

ارتجف فى عنف جعل الجميع يشهقون فى فزع ، وجعل

(رمزي) يقفز من مقعده ، ويحدق في الشاشة في دُعر وتوثر ..

وفجأة أيضًا .. أظلمت الشاشة ..
وانطلقت صرخات الرعب من الأفواه ، وبخاصة أفواه
أسرئي (طارق) و (هشام) .
أما (نشوى) ، فقد كانت أسرتها تقتصر — في الوقت
الحالي — على شخص واحد ..

(رمزي) ..
وانزع (رمزي) نفسه من دُعره وتوثره ، واندفع نحو
حجرة القبطان ، واقتحمها في عنف ، وهو يصرخ :
— ماذا حدث ؟

حاول القبطان أن يهدئ من انفعاله ، على الرغم من أنه
كان يرتجف على نحو واضح ، وهو يقول :
— لا تقلق ياسيدي .. إنه انقطاع في كابل النقل
فحسب .

صاح (رمزي) في توثر :
— وماذا عن الغواصة ؟
أجابه القبطان في توثر :

— إننا نستعيدها .. سنرفعها إلى السطح في لحظات .
أسرع (رمزي) إلى السطح ، وتعلق بصره بالكابل
الضخم ، الذي يرتفع في سرعة ، حاملاً (ق — ١) ، حتى
برزت الغواصة الصغيرة فوق سطح الماء ، وبدأ القطع الجزئي
في الجزء الملتصق بها من الكابل واضحاً ، وأسرع (عصام)
نحوها ، مع والدتي (طارق) و (هشام) ، ثم لم يلبث الجميع
أن توقفوا مبهورين ، مذعورين ، مرعوبين ، فقد كان الجدار
الجانبى للغواصة التجريبية مشقوقاً ، كما لو كان قطعة من
الرُّبْد ، أحدث فيها سكين حاد فجوة كبيرة ..

وكانت خالية ..

خالية من الصيَّة الثلاثة ..

خالية تماماً ..



٣- أعماق الألم ..

شعر (رمزي) بساقية تُعجزان عن حمله ، وترتجفان على نحو واضح ، وُحِيلَ إليه أنه سيَهْوَى فاقد الوعي ، وصنك مسامعه صراخ أسرى الصبيّين (طارق) و (هشام) ، وبدا له كقصف رعد في أعماق قلبه ، الذي أصيب بجرح عميق ، وراح يُعاني آلاماً مبرّحة ، وهو يلوم نفسه أشدّ اللوم ؛ لأنه وافق على قيام (نشوى) بتلك الرحلة ..

وفجأة .. اجتاحه إعصار من الغضب ..

إعصار هادر قوى مدمر ..

إعصار دفعه إلى أن يندفع نحو حجرة القبطان مرة أخرى ، ويقتحمها في عنف ، ثم ينتزع هذا الأخير من مقعده ، ويصرخ به في غضب :

— أيها الحقير .. لقد صدّقنا دعاياتك ..

تملّص القبطان من قبضتيه في توتر ، وأسرع رجاله يصوبون مسدّساتهم الليزرية نحو (رمزي) ، الذي بدا وكأنه لم يَرَفْهُات



أسرع (رمزي) إلى السطح ، وتعلّق بصره بالكابل الضخم ، الذي يرتفع في سرعة ، حاملاً (ق - ١) ..

مسدسات الأشعة القاتلة ، وهو يصرخ في وجه القبطان :
— لقد بالغت في الثقة بغواصتكم الحقيمة ، وأفقدتنا
أبناءنا .

هتف القبطان في توثر :

— ولكن الغواصة منيعة بالفعل .. لست أدري كيف
حدث ذلك .

صاح (رمزي) في غضب :

— سأخبرك أنا كيف حدث ذلك أيها الحقير .. إن جدران
غواصتكم اللعينة لم تحمل الضغط الهائل ، الذي وصل إلى
ستمائة ضغط جوى على كل سنتيمتر منها ، فتشقق ،
وانهارت ، وقُتل أبناءنا داخلها .

لوح القبطان بكفه في دُعر ، وهو يهتف :

— مستحيل !! هذا ليس تأثير الضغط ، فلو أنه كذلك
لانطبقت جدران الغواصة بعضها على البعض ، وليس هذا
ما حدث .. لقد صنع فيها شيء ما فجوة منتظمة .. فجوة عجيبة .
انتفض جسد (رمزي) كله ، عند سماعه هذه العبارة ،
التي بدت له منطقية صحيحة ، وانهار فوق أقرب مقعد إليه ،
وهو يقول في توثر :

— ماذا حدث إذن ؟ .. ماذا حدث ؟

غمغم القبطان في اضطراب :

— ستجرى الشركة بحثا واسعا ، في هذا الشأن
ولاشك ، وستصرف لكم التعويضات المناسبة و.....
قاطع (رمزي) بصرخة استنكار :

— تعويضات ؟!

وهب واقفا ، وهو يستطرد في غضب عصبى :

— أتظن أن التعويضات المالية ستكفينا ؟! .. أتظن أننا
سنقبل ثمن دماء أطفالنا ؟ ..

لوح القبطان بذراعه ، وهو يهتف في توثر :

— إننى لم أقصد ذلك ، ولكن ما حدث قد حدث ،
ولا توجد وسيلة لاسترجاع الأطفال ، والتعويض المادى أمر
معترف به قانونا .

دوى جزء من العبارة في رأس (رمزي) ..

لا توجد وسيلة لاستعادة الأطفال ..

لا توجد وسيلة لاستعادتهم ..

ما من وسيلة ..

اتسعت عيناه في دُعر ، وهو يردد في ألم ومرارة :

— يا إلهي !! .. (نشوى) ..

وانهار مرة أخرى فوق مقعده ، ودفن وجهه في راحتيه ،
وهو يردد :

— كيف أفسر ما حدث لـ (نور) و (سلوى) ؟ .. كيف
أبرر لهما تقاعسى في حماية ابنتهما ؟ .. كيف أعوضهما عنها ؟ .. !
كانت كلماته تقطر بالألم والمرارة ..
وفجأة .. برق مشهد ما في رأسه ..
مشهد رآه في لحظة خاطفة ..

مشهد تذكّره على التو ، فهبّ من مقعده ، وتعلّق
بالقبطان ، صائماً :

— اتصل بشركتك اللعينة .. هيا .. اطلب منهم أن يرسلوا
لنا غواصة أخرى مشابهة ، وألقِ مرساتك هنا ، فسنبقى حتى
نتهى من هذا الأمر .

حدّق القبطان في وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :
— أى أمر ؟

أجابه (رمزى) في صرامة :

— إننا سنهبط هناك ..

ثم أشار إلى المحيط ، مستطرداً في حزم :

— إلى حيث فقدناهم .

حلّقت هليوكوبتر نووية فوق الحوامة في دّورة كاملة ، قبل
أن تلتقط أجهزة الحوامة رسالة منها ، تقول :

— هنا هليوكوبتر إدارة المخابرات العلمية ، نطلب الإذن
بالهبوط .

أدار القبطان عينيه إلى (رمزى) ، قائلاً في عصبية :
— لم يكن من الضروري أن تتصل بالمخابرات العلمية ،
فهذا الأمر خاصّ بالشركة ، ويمكننا إجراء تحريّاتنا بأنفسنا .

أجابه (رمزى) في صرامة :

— هذا ما تصوّره أنت .

ثم أشار إلى أجهزة الحوامة ، مستطرداً في حزم :

— مَرّ رجالك بمنحهم إذن الهبوط .

أشار القبطان إلى أحد رجاله في ضيق ، فعمل هذا على
إرسال إذن الهبوط إلى الهليوكوبتر ، التى دارت حول الحوامة
دّورة أخيرة ، ثم هبطت في منتصفها ، وقفز منها (محمود) ،
عضو الفريق ، الذى اندفع نحو (رمزى) ، يسأله في لهفة :

— ماذا حدث يا (رمزي) ؟ .. ماذا أصاب (نشوى) ؟
أمسك (رمزي) كتفيه ، وهو يقول في دهشة وتوتر :
— (محمود) ؟! .. ما الذي أتى بك ؟ .. إننى لم أطلب
حضورك بالذات ، فجراحك قد التأمت منذ أيام فقط ،
و..... (*)

قاطعته (محمود) في حزم :

— دَعَكَ من جراحي ، وأخبرنى .. ماذا حدث ؟
قصّ عليه (رمزي) ما حدث في سرعة ، فهتف في
جزع :

— يا إلهى !!.. هل فقدنا (نشوى) ؟

انعقد حاجبا (رمزي) ، وهو يقول :

— كل الظواهر تؤكد ذلك يا (محمود) ، ولكن هناك
شيء يدفعنى إلى عدم الجزم بهذا .

سأله (محمود) في دهشة :

— أى شيء هذا ؟

أشار إليه ، قائلاً :

(*) راجع قصة (أرض العمالة) .. المغامرة رقم (٦٠) .

— تعال .. سأجعلك ترى بنفسك .
ثم قاده إلى حيث وضعت الفؤاصة الصغيرة ، وقال وهو
يشير إلى الجزء المشقوق في جدارها :

— انظر وأخبرنى ، أى شيء فعل هذا ؟

مال (محمود) يفحص الجزء المقطوع من جدار الفؤاصة ،
وهو يقول في اهتمام مشوب بالدهشة :

— يبدو أن ذلك الجدار قد تعرّض لنوع رهيب من
الأشعة .. فهو مشقوق بحواف منتظمة ناعمة .. وهناك قطعة
كبيرة مفقودة منه ، كما لو أن أحداً قد انتزعها لفحصها .

رفع (رمزي) سبّابه أمام وجهه ، وهو يقول :

— بالضبط .. هذا ما استتجته أنا .

ثم أشار إلى الجزء المقطوع من الكابل ، والملاصق لقمة
الفؤاصة الصغيرة ، مردفاً :

— وما رأيك في هذا ؟

فحص (محمود) القطع الجزئى في إمعان ، وقال :

— يبدو أنه مقطوع باستخدام الوسيلة نفسها .

أضاف (رمزي) في اهتمام :

— مع الانتقاء .

عقد (محمود) حاجيه ، وهو يسأله :

— ماذا تغني ؟

أجابه في حسم :

— أغني أن الأشعة قد انتقت طريقها هذه المرة ، فهي
لم تقطع الكابل كله ، وإنما انتقت منه جزءًا خاصًا ،
ذلك الجزء الذي يحوى أسلاك توصيل الصُّور إلى سطح
(الهوفر كرافت) .

عاد (محمود) إلى فحص الجزء المقطوع في اهتمام ، ثم
غمغم :

— يا إلهي !!.. هذا صحيح .

ثم اعتدل مغمغمًا في خيرة :

— ولكن لماذا ؟

أجابه (رمزي) :

— لمنع نقل الصُّور أولاً ، قبل شق جدار الغواصة .

حدَّق (محمود) في وجهه بخيرة ، وهو يغمغم :

— ولكن هذا يحتاج إلى مخلوق عاقل يا (رمزي) !

أوماً (رمزي) برأسه إيجابًا ، وقال :

— هذا صحيح .. ويتَّفِق تمامًا مع ما رأيته على شاشة
النقل .

ازداد انعقاد حاجبي (محمود) ، وهو يقول :

— ماذا رأيت يا (رمزي) ؟

أجابه في هدوء واثق حازم :

— رأيت على ذلك العمق شكلاً حيًّا يا (محمود) .. شكلاً
بشريًّا ..



٤ — المستحيل ..

« هذا مستحيل !! .. مستحيل تمامًا !! » ..

ألقى قبطان (الهوفر كرافت) هذه العبارة في حزم وصرامة ،
وبلهجة لا تحمل النقاش ، بعد أن استمع إلى حديث
(رمزي) ، وأردف في حدة :

— ما من بشر يمكنه أن يحمل الضغط الهائل ، في هذه
الأعماق السحيقة ..

إن أى مخلوق بشرى يُسحق سحقًا ، قبل أن يصل إلى ربع
هذا العمق .

أجابه (رمزي) في صرامة :

ولكننى رأيت شكلًا بشريًا ، على عمق كيلومترين .

هتف القبطان في إصرار :

— مستحيل !! أقول لك : مستحيل !!

أشار (محمود) بكفيه ، قائلاً :

— مهلاً أيها السادة .. من السهل الوصول إلى رأى

حاسم ، في هذا الخلاف .

ثم التفت إلى القبطان ، قائلاً :

— هل سجلتم ما نقلته آلات التصوير في الغواصة ؟

فهم القبطان مقصده على الفور ، فصاح في حزم :

— بالتأكيد .. سنعيد عرضه ، وسأثبت لكما أتنى على

حق ..

ورمق (رمزي) بنظرة صارمة ، وهو يُردف :

— إن وجود بشر على هذا العمق مستحيل !!

راحت آلات الفيديو تعرض التسجيل في هدوء ، وعيون

الرجال الثلاثة تتابعه في اهتمام ، حتى هتف (رمزي) فجأة في

انفعال :

— ها هو ذا .

عقد القبطان حاجبيه ، وهو يقول :

— أين ؟ .. إننى لم أر شيئاً !

غمغم (محمود) في قلق :

— وأنا كذلك !

هتف (رمزي) :

— أعد (المشهد) وستريانه .

أعاد القبطان المشهد ، وحدّق فيه الثلاثة مرّة أخرى في
اهتمام ..

كان مشهدًا عاديًا للغاية ، ينقل مساحة لانهائية من مياه
الأعماق ..

وفجأة .. برز جسم ما عند نهاية دائرة الضوء ، واختفى في
سرعة ..

ظهر واختفى في ثانية واحدة ، لم تسمح لـ (محمود) أو
القبطان بالتحقّق منه ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد هتف
(رمزي) :

— ها هو ذا مرّة أخرى .. أرايتما ؟

تبادل (محمود) والقبطان نظرات الخيرة ، ثم غمغم
الأوّل :

— في الواقع .. إننى

قاطعته (رمزي) في عصبية :

— حسنًا .. حسنًا .. هناك وسيلة أكثر دقّة .

وأعاد المشهد للمرّة الثانية ، ثم أوقفه ، وأخذ يعرضه في
بطء متناه ، وهو يقول :

— سنشاهد المشهد هذه المرّة لقطة فلقطة ..

تعاقت الصّور في بطء شديد ، ثم بدأ ذلك الجسم يظهر
عند دائرة الضوء ، فأوقف (رمزي) الصّورة ، هاتفاً :

— انظرا .

حدّق الاثنان في الشاشة باهتمام ، ثم هزّأ رأسيهما نفيًا ،
وقال القبطان في ضجّر .. لست أرى سوى جسم مظلم .. قد
يكون شيئًا ، أو لا يكون .

دفع (رمزي) الصّور إلى الأمام ، لقطة فلقطة ، وبدأ
الجسم وهو يعبر دائرة الضوء ، دون أن يبدو منه ما يشير إلى
أنه بشريّ ، حتى أن (محمود) غمغم في أسف :

— ربّما هو خداع بصرى يا (رمزي) .. أو

لم يتمّ عبارته ، فقد أوقف (رمزي) المشهد عند لقطة
واضحة ..

لقطة يبدو فيها الجزء الأخير من الجسم ، قبل أن يغادر
دائرة الضّوء ..

وكان هذا الجزء الأخير كافيًا ..

لقد كان قدمًا ..

قدمًا بشريّة ذات رُعانف ..



تعاقبت الصُّور في بطاء شديد ، ثم بدأ ذلك الجسم يظهر عند دائرة الضوء ، فأوقف (رمزي) الصورة ، هاتفاً : انظروا .

« مستحيل !! » ..

ردّد القبطان تلك الكلمة في ذهول ، وهو يضرب كفّاً بكفّ ، قبل أن يستطرد :

— سيحطم هذا كل النظريات العلمية المعمول بها ..
سيضرب كل الآراء والأسس والقواعد في مقتل .
أجابه (رمزي) في حزم :

— ولماذا تفترض ذلك ؟ .. ألا يحتمل أن ما نراه الآن هو
الاستثناء الضروري ، لتأكيد كل قاعدة .
هتف القبطان :

— إنه ليس مجرد استثناء .. إنه كشف يفعل بنا الكثير ،
ويقلب أماننا كل الموازين ، فهو قد يغيى صحة نظريتك
الأخرى ، التي تشير إلى اختطاف الصّبية الثلاثة ، لا إلى
قتلهم .

هزّ (رمزي) رأسه في خيرة ، وهو يقول :
— أتمنى ذلك ، فأنا أعتمد على نوع من التحليل النفسي ،
بافتراض أنه ما دام بشرياً لم يصل إلى ذلك العمق بعد ، فمن
الطبعي أن مخلوقات ذلك العمق ستري البشر لأول مرة ، ولو
أنهم متطوّرون ، حسبما أعتقد ، وحسبما تشير الدلائل ، من

حيث قطعهم لأسلاك نقل الصور فحسب ، وقدرتهم على شق جدار (ق - ١) ، باستخدام نوع من الأشعة القوية ، فيشير وجود الصبغة الثلاثة فضولهم ، وسيدفعهم إلى محاولة دراستهم ، وبالتالي إلى اختطافهم ، والمحافظة على حياتهم .
لوح القبطان بذراعه ، وهو يقول :

— ولكن نظريتك كلها تعتمد على احتمالات ،
وافتراضات محضة .

أجابه (رمزي) في حزم :

— فيما عدا وجود بشر ، على درجة جيدة من التطور ، في أعماق المحيط .

قلب (محمود) كفيه في خيرة ، وهو يقول :

— ولكن من أين جاءوا ؟ .. وكيف يحتملون الضغط الرهيب في أسفل ؟

مط (رمزي) شففيه ، وهو يقول :

— لدى نظريتان في هذا الشأن .

غمغم القبطان في سخط :

— نظريات مرة أخرى ؟!

تجاهل (رمزي) تعليقه تمامًا ، وهو يتابع حديثه مع (محمود) ، قائلاً :

— النظرية الأولى تعتمد على نظرية التطور لـ (تشارلز داروين) (*) عن تطور المخلوقات بعضها من بعض ، بدءًا من الكائنات المائية الدقيقة ، إلى الإنسان .. فلو افترضنا أن عجلة التطور لم تنتقل كلها من البحر إلى البر ، وأن جزءًا منها واصل تطوره بحرًا ، حتى وصل إلى إنتاج كائنات مائية ، على أعلى درجة من التطور ، فمن المحتمل أن تكون تلك الكائنات شبيهة بالإنسان ، فيما عدا قدرتها على العيش تحت الماء ، واحتمال الضغط الهائل .

غمغم القبطان في سخط :

— مجرد نظريات معقدة .

مرة أخرى تجاهل (رمزي) و (محمود) تعليقه تمامًا ، وسأل (محمود) (رمزي) في اهتمام :

(*) (تشارلز روبرت داروين) (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م) : عالم إنجليزي ، درس الطب بأدبيرة ، ثم اتجه لدراسة العلوم ، وشغف بالتاريخ الطبيعي ، وضع النظرية الداروينية ، في كتابه (أصل الأنواع) ، عام ١٨٥٩ ، وله العديد من الأبحاث في عالم الحيوان والتطور .

— وماذا عن النظرية الأخرى

شرد (رمزي) ببصره لحظات ، ثم قال :

— إنها أكثر تعقيدا .

ومطأ شفتيه ، وكأنما يتردد في الإفصاح عن نظريته الثانية ،

ثم بدا وكأنه قد حسم رأيه ، وهو يقول :

— إنها تتعلق بقوم قارة (أتلائس) .

اتسعت عينا القبطان في دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

— هراء .

أما (محمود) ، فقد سأل (رمزي) في اهتمام :

— أتغني أن هؤلاء هم بقايا حضارة (أتلائس)
الغارقة ؟

هز (رمزي) كتفيه ، وهو يقول في تردد :

— إنها مجرد نظرية .

هتف القبطان في صرامة :

— هراء .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

— كل مانقوله هنا مجرد هراء أيها السادة ، وحتى رغبتكما

في الغوص في البقعة ذاتها ، للبحث عن الصبية محض هراء .

عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يقول في حدة :

— أتغني أن الغواصة الثانية لن تصل ؟

هز القبطان رأسه نفيا ، وهو يقول في حزم :

— بل ستصل بعد ساعة واحدة ، مع حلول الظلام ،

ولكن من العبث أن تتصورا أنكما ستعثران على شيء ، فحتى

لو لم تقتل تلك المخلوقات الصبية مباشرة ، فمجرد فتحهم

لجدار الغواصة يضع الصبية الثلاثة تحت ضغط هائل ، كفيل

بسحقهم سحقا .

روعتهما كلماته ، وبعثت في قلوبهما الرعب ، مع تصوّرهما

لمصرع (نشوي) ورفيقها على هذا النحو ، وراى الصمت

لحظات ، ثم غمغم (رمزي) في عناد :

— ولكنني سأذهب أيها القبطان .. شيء يؤكد لي أنني

سأعود بـ (نشوي) ..

وتسللت إلى صوته نبرة حزينة ، وهو يردد :

— أو بجثتها ..

٥- رحلة الضياع ..

اجتمع المسافرون على ظهر (الهوفر كرافت) ، يتطلعون في قلق إلى بخارة الحوامة ، وهم يُعدّون الغواصة الثانية (ق - ٢) ، للهبوط إلى الأعماق ، وتركزت نظراتهم على (رمزي) ، الذي بدا شديد الحماس والانفعال ، وهو يراجع كل إجراءات الأمان بالغواصة التجريبية الصغيرة ، قبل أن يدلف إليها ..

وهناك ، إلى جوار الغواصة ، كان (رمزي) حقًا شديد الانفعال ، وهو يهتف في أعماقه :

— ترى .. أصحيحة هي مشاعري ؟ .. أمن الممكن حقًا أن أجد (نشوى) ورفيقها على قيد الحياة ؟ .. أم أن شعوري بالذنب هو الذي دفع تلك النظرية إلى عقلي ، وبلورها ، وجعلها تبدو لي منطقية ، عقلانية ؟ .. أمن الممكن أن يكون الضغط قد سحقهم حقًا في الأعماق ؟ .. ولكن ، لو أن هذا ما حدث ، فلماذا أخرجوهم من الغواصة ؟ ..

كان عقله نهبًا لعشرات الافتراضات والتساؤلات ، حتى أنه انتفض في قوة ، حينما شعر بيد توضع على كتفه ، والتفت في حدة إلى صاحبها ، فطالعه وجه (محمود) ، وهو يقول في خفوت :

— هل أزعجتك ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول في خفوت مماثل :

— كلاً .. لقد انتزعني من شرودي فحسب .

ثم أجبر شففيه على رسم ابتسامة ، وهو يستطرد :

— كم يسعدني شفاؤك يا عزيزي (محمود) .. سأحتفل به

معك ، عندما أعود بـ (نشوى) من الأعماق بإذن الله .

هز (محمود) كتفيه ، وهو يقول في بساطة :

— ولم لا نحتفل به معًا هناك ؟

حدّق (رمزي) في وجهه بدهشة ، وهو يقول :

— هناك ؟ .. أين تقصد ؟

أشار (محمود) إلى المحيط ، مجيبًا في هدوء :

— في الأعماق .

هتف (رمزي) في جزع :

— أنت ؟ .. أنت تخطط إلى الأعماق ؟ .. يا إلهي .. ماذا

أصابك يا صديقي ؟ .. إننى أعتبر قدومك إلى هنا وخذته نوع
من المخاطرة الجسورة ، أنسيت أنك مصاب بخوف مرضى من
البحار (*) ؟

ابتسم (محمود) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— كلاً .. لم أنس ذلك ، ولكننى أحاول تجاهله ، فلم
لا تجاهله أنت أيضاً ،

عقد (رمزى) حاجبيه فى حزم ، وهو يقول :

— اسمع يا (محمود) ..

قاطعه (محمود) :

— اسمع أنت يا (رمزى) .. إن (نشوى) هى ابنة

(نور) و (سلوى) ، وأنت الصديق الوحيد الباقى لى فى
هذا العالم ، بعد أن غاب (نور) وزوجته فى غيوبتهما الطويلة
العميقة ، ومهما كانت إصابتى بالخوف من الأعماق ، ومن
الأماكن المغلقة ، فهى لن تساوى لهفتى على استعادة
(نشوى) ، ولا إصرارى على أن أكون إلى جوارك ، وأنت

(*) راجع قصة (مدينة الأعماق) .. المغامرة رقم (٣) .

تفعل ذلك .. وهذا يعنى أنى — وبكل بساطة — لن أتنازل
عن مرافقتك فى هذه الرحلة ، مهما حاولت ، أو قلت ،
أو فعلت .

رأى عليهما الصمت ، وكل منهما يحدق فى عينى الآخر ، ثم
ابتسم (رمزى) ، ووضع راحته على كفى (محمود) ،
وهو يقول فى اعتزاز :

— مرحباً بك يا صديقى .

ثم تجهّم وجهه مرة أخرى ، وهو يستطرد :

— مرحباً بك فى رحلة الضياع ..

مطّ كبير أطباء مستشفى (القاهرة) المركزى شفته ،
وعقد حاجبيه فى خيرة ، وهو يتطلّع إلى الطبيب المسئول عن
غرفة العناية المركزة ، التى يستقرّ فيها جسدا (نور)
و (سلوى) ، قبل أن يسأله :

— ماذا يعنى هذا بالله عليك ؟ .. لا توجد حلول وسط ،
بالنسبة للإشارات المخية ، فى حالات الغيوبة العميقة هذه ،
فإما أن يعطى المخ إشارات ضعيفة منتظمة ، طوال فترة
الغيوبة ، أو ينشط ، فتأتى اليقظة !

هزّ الطيب كفيه ، قائلاً :

— لست أجد تفسيراً لذلك يا سيدي .. لقد نشطت إشارات مُخَيِّمها فجأة ، على حين بقي جسداهما على حالتهما ، ثم عادت إشارات مخيِّمها إلى ما كانت عليه ، وعاد كل شيء إلى وضعه الأوّل .

هزّ كبير الأطباء رأسه في خيرة ، وهو يقول :

— عجباً !! إنها الظاهرة الأولى من نوعها .

ورفع عينه إلى شاشات مراقبة أنشطة الجسدين ، وأضاف :

— إن كل شيء يبدو لي عادياً للغاية و....

قبل أن يتمّ عبارته ، قفزت مؤشرات جهاز مراقبة الإشارات المخية بغتة ، وأسرعت في عملها على نحو جنونى ، فأتسعت عينا كبير الأطباء في دهشة ، وهفّ الطيب المعالج في انفعال :

— ها هي ذى تلك الظاهرة العجيبة تحدث مرّة أخرى ..

إنهما يتلقّيان رسالة عقلية .. رسالة أخرى ..

هبطت (ق — ٢) في بطن ، نحو أعماق المحيط السحيقة ، وبداخلها (رمزي) و (محمود) وتألّقت بالأضواء المبهرة ، لتبدّد ظلام الأعماق ، فغمغم (محمود) في رهبته ، وهو يتطلّع عبر النافذة الزجاجية السميكّة :

— يا إلهي !!.. كم أشعر بضعف الإنسان ، على الرغم من غروره ، أمام هذه المشاهد ، التي تؤكد عظمة الخالق وحكمته !!

غمغم (رمزي) :

— إننى أشاركك الشعور نفسه يا صديقى .

تمم (محمود) ، دون أن يرفع عينه عن المشهد :

— أتظن أننا سننجح ؟

تهنّد (رمزي) ، وقال :

— من يدرى ؟

ثم أشار إلى إحدى مؤشرات الفؤاصة ، مستطردّاً :

— لقد وصلنا إلى عمق كيلومترين .. نفس العمق الذى

اختفت فيه (نشوى) .

ازدرد (محمود) لُعابه في صعوبة ، وهو يغمغم :

— أتظن أنه سيحدث لنا الشيء نفسه ؟!



بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه في دُغر وذُهل ، وتراجع في حِدة
وغُنف ، حتى أنه ارتطم بـ (رمزي) في قُوّة ..

هَزَّ (رمزي) رأسه في بطاء ، وهو يكرّر :

— مَنْ يَدْرِي ؟

التصق بصراهما بالأعماق ، غَبَرَ الزجاج السميك ، وكأنما
يتوقَّعان تكرار نفس المشهد ، الذي رأياه على الشاشات من
قبل ، وخيَّم عليهما صمت مشوب بالقلق والتوتر ، استغرق
وقتا طويلا ، قبل أن يقطعه فجأة أزيز مباغت ، انتفض له
جسداهما ، وهتف (محمود) في اضطراب :

— ما هذا ؟

أشار (رمزي) إلى مصباح صغير ، يومض بضوء أحمر
متقطع ، وقال في انفعال :

— لقد توقفت آلات التصوير عن نقل الصُّور .. لقد قطع
شيء ما أسلاك التوصيل .

التصق (محمود) بزجاج النافذة ، وهو يهتف في توتر :

— ولكنني لا أرى شيئا .. كل شيء يبدو هادئا و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه في دُغر وذُهل ، وتراجع
في حِدة وغُنف ، حتى أنه ارتطم بـ (رمزي) في قُوّة ، وسقط
الاثنان أرضا ، ولكنهما لم يشعرا بوقع السقوط ، وإنما راحا
يحَدِّقان في النوافذ ..

فَهِناكَ ..

خلف النوافذ السميكة ..

على عمق كيلومترين في المحيط الأطلنطي ..
حيث يبلغ الضغط ستمائة ضعف للضغط الجوى ..

حيث لم يصل بشر من قبل ..

كانت هناك وجوه شبه بشرية ..

وجوه خضراء ، صلعاء ، ذات حراشيف لامعة ، وعيون

مضيئة ..

وجوه مخلوقات الأعماق ..

سادة الأعماق ..



www.dvd4arab.com

٦ - من القمة إلى القرار ..

ارتجف جسد قبطان (الهوفر كرافت) في قوة ، حينما انقطع
استقبال الصُّور ، المرسل من الأعماق ، وتصبَّب عرق غزير
على وجهه ، وهو ينهار فوق مقعده ، ويخفى عينيه براحتيه ،
مغمغماً في ألم :

— يا إلهي !!.. نفس النهاية .. نفس المصير ..

تحيم الوجوم على وجوه الجميع ، وهم يحلّقون في الشاشة ،
التي صارت بيضاء خاوية ، ثم التفت كل منهم إلى الآخر ،
وانتقلت عبْر أجسادهم رعدة قويّة ، وانتقلت أبصارهم إلى
حجرة القبطان في ترقّب وتوتر ..

وهناك ساد صمت رهيب ، استغرق دقيقة كاملة ، قبل أن
يجرؤ أحد البحارة على القول :

— سيّد القبطان .. ماذا سنفعل ؟

رفع إليه القبطان عينيه في شرود وخيرة ، وتطلّع إليه لحظات
في صمت ، ثم غمغم :

— نعم .. ماذا سنفعل ؟

استغرق صمته وشروده لحظات أخرى ، قبل أن ينتفض
بغثة ، وكأنما ينفض عنه كل هذا ، ويهتِّب واقفاً ، هاتفاً :

— ارفعوا الغواصة الثانية .. أسرعوا ..
وانعقد حاجباه في قوَّة ، وارتجف صوته في شدَّة ، وهو
يُردِّف :

— قد نستعيدهما هذه المرَّة .. أحياء .

تجمَّد (رمزي) و (محمود) في سقطتهما ، وهما يحدِّقان في
وجوه سادة الأعماق ، الذين راخوا يسبحون بأجسادهم شبه
البشريَّة حول الغواصة ، ويتطلَّعون بعيونهم المضيئة غبر
النوافذ ، وكأنما يشاهدون بعض حيوانات الزينة ، داخل
قفص معدني له نوافذ زجاجية ..

ثم بدأت الغواصة ترتفع ، فهتف (رمزي) :

— إنهم ينتشلوننا .

غمغم (محمود) في ارتياح :

— المهم أن يفعلوا ، قبل فوات الأوان .

ارتفع سادة الأعماق مع الغواصة الصغيرة في هدوء ،
وهم يواصلون تحديقهم داخلها ، فغمغم (رمزي) :

— عجباً !! .. هل ستركونا هذه المرَّة ؟ .. أم ..
قبل أن يتمَّ عبارته ، برزت في أيدي المخلوقات كُرَّات
لامعة ، صوبوها نحو جدار الغواصة ، فهتف (محمود) في
ذُعر :

— يا إلهي !! .. هل سيد ..

بتر عبارته ، حينما انبعثت من الكُرَّات اللامعة أشعة قويَّة ،
اخترقت جدران الغواصة في ليونة ، كسكين حاد يشق قطعة
رُبْد طازجة ، وتدفَّقت مياه المحيط إلى الداخل ، وصرخ
(رمزي) :

— يا إلهي !! .. إنهم يخترقون الغواصة .. إنهم ..

طار فجأة — وقبل أن يتمَّ عبارته — جزء من جانب
الغواصة ، واندفعت المياه داخلها في عنف ، وشعر (محمود)
و (رمزي) بآلام الضغط المبرِّحة ، وصرخ عقل
(رمزي) ، وهو يشعر بأطنان من الضغط على أذنيه ..
صرخ ينادي كل من يعرف ..
ينادي (نور) ..

و (سلوى) ..

و (نشوى) ..

ثم انهار كل شيء ، وساد ظلام تام ..

اجتمع أطباء مستشفى (القاهرة) المركزى ، فى حجرة
العناية المركزة ، حول جسد (نور) و (سلوى) ،
وتطلعت عيونهم إلى شاشات أجهزة المتابعة الحيوية فى خيرة ،
حتى هزّ كبير الأطباء رأسه ، وهو يقول :

— فى الواقع أيها السادة ، إننى لم أر مثل هذه الظاهرة
أبدا .

عقد أحد الأطباء حاجبيه ، وهو يقول :

— أظن أنها حقاً رسالة عقلية ياسيدى ؟

مطّ كبير الأطباء شففيه ، وهزّ رأسه ، وهو يقول :

— لست أدرى .. لا يمكننى الجزم بالإيجاب أو السلب ..

الأمر يحتاج إلى دراسة .

تبادلوا نظرات الخيرة ، ثم التفت أحدهم إلى الطبيب
المعالج ، يسأله :

— أتحدث تلك الظاهرة بغتة ، أم تسبقها علامات مميزة ؟

تنهد ، قبل أن يجيب :

— بل تحدث فجأة ، ودون سابق إنذار .

سأله فى فضول وشغف واهتمام :

— كيف ؟ .. هل تبدأ ..؟ ..؟ ..؟

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز مباغت ، جعل الجميع
يشهقون فى لفة ، ويرفعون رؤوسهم إلى شاشات المراقبة
الحوية ، ثم يهتف أحدهم :

— هاهى ذى .. لقد عادت الظاهرة ..

تعلّقت عيون الجميع بمؤشر رسّام المخ الإليكترونى ، الذى
راح يرسم منحنيات وخطوطاً عنيفة ، ويتقافز فى جنون ،
فهتف الطبيب المعالج :

— إنها تحدث فى عنف هذه المرة .. عنف شديد .

ثم اتسعت عيناه فى هلع ، وهو يشير إلى شاشة رسّام
القلب ، صائحاً :

— انظروا .. هناك ظاهرة أخرى تصاحبها هذه المرة .. إن

قلبيهما ينبضان فى عنف .

أيضاً .. هناك شيء ما يحدث .. شيء ما يحدث بالتأكيد ..

لم يكن قوله دقيقاً تماماً ..

صحيح أنه كان هناك شيء ما يحدث ، ولكن هناك عبارة
صحيحة ..

هناك شيء خارق يحدث ..
خارق للعادة ..
ولكل القوانين ..

أطنان من الضغط الهائل هاجمت (رمزي) و (محمود) ..
رُعب هائل ملأ قلوبهما ، وهما يواجهان الموت ، على عمق
كيلومترين ، تحت سطح المحيط الأطلنطي ..
وبعد مقاومة لم تستغرق ثانية واحدة ، فقد كلاهما وعيه ..
وشعر (رمزي) أنه يهوى في قرار سحيق .. مظلم ..
دامس .. مخيف ..

قرار بلا قرار ..

وسبح بلا هدى ..

بلا هدف ..

بلا نهاية ..

سبح في فراغ هائل ، بلا أقطاب أو اتجاهات ..
ولم يعد يشعر بالألم ..

كان كمن يسبح في الفضاء ، وهو يحمل كل هدوء الدنيا في
أعماقه ..

وفجأة .. رآهما ..

رأى (نور) و (سلوى) ..

رآهما يقتربان منه في سرعة ..

أو أنه هو كان يقترب منهما ..

لأحد يدرى ..

لقد كان يقف ساكنا ، وهما كذلك بديا ساكنين ، ولكنهما
يقتربان منه في سرعة ..

ثم توقف على قيد أمتار منهما ، أو أنهما توقفا على قيد
خطوات منه ..

وكان وجهاهما يحملان قلقا شديدا ..

وسألهما :

— (نور) .. (سلوى) !! .. حمدا لله .. متى استعدتما

وعيكما ؟

أجابته (سلوى) في صوت عميق ، بدا له وكأنه يأتي من
أعماق بئر سحيقة :

— دَعُوكَ مِنَّا يَا (رمزي) .. المهم ابتنا .. أين
(نشوى) ؟

شعر بالخلجل ، والألم ، والمرارة ، وهو يقول :

— (نشوى) ؟! .. إنها .. إنها

قاطعته (نور) ، قائلاً :

— نحن نعلم ما حدث يا (رمزي) .. نعلم أن مخلوقات
الأعماق قد اختطفتها ، ولكن أين ذهبوا بها ؟ .. لقد فقدنا
اتصالنا بها .

غمغم في خيرة :

— لست أدري .. إننا نبحث عنها أنا و (محمود) .. لقد
هبطنا خلفها ، ولكن

قاطعته (سلوى) :

— اطمئن يا (رمزي) .. ستبقى على قيد الحياة .. قد يُعاني
(محمود) بعض المتاعب ، ولكنك ستبقى .. من أجل ابتنا
يا (رمزي) .

هتف في حرارة :

— سأفعل ما بوسعي للعثور عليها وإنقاذها .. أقسم أن
أفعل .

نُحِيلُ إِلَيْهِ أَمَهُمَا يَتَعَدَّان ، وَأَمَهُمَا يَتَسَمَّان ، و (نور) يقول في
صوت متراجع :

— إننا نعلم أنك ستفعل يا (رمزي) .. إننا نثق بك .. نثق
بك كثيرًا ..

خفت صوتهما تدريجيًا ، وهما يتعدان ، ويختفيان وسط
ظلام دامس ، ويرددان :

— إننا نثق بك .. نثق بك كثيرًا .

أراد أن يتكلم .

أن ينطق بشيء ما ..

ولكنه عجز ..

عجز تمامًا ..

ورآهما يختفيان ، ويتلاشيان ..

وعندما اختفيا تمامًا ، وتلاشيا للنهاية ، انحلت عقدة

لسانه ، وغمغم في خفوت :

— سأحاول .. سأبذل كل ما بوسعي ..

وفجأة .. هبط من القمة إلى القرار ..

واستيقظ ..

اتسعت عيون الأطباء ، المحيطين بجسدى (نور)
و (سلوى) ، فى دهشة يحدقون فى شاشة الأجهزة ، وهتف
أحدهم :

— لقد انتهت الظاهرة .

أسرع الجميع يفحصون الجسدين فى خيرة كاملة ، وغمغم
أحدهم :

— عجبًا !!.. ماذا يحدث ؟!.. يا لها من ظاهرة
عجيبة !!.. لقد ظهرت فجأة ، وانتهت فجأة !.. لقد عاد المخ
والقلب إلى هدوءهما !.. عجبًا !!

غمغم الطبيب المعالج ، الذى يقف صامئًا فى ركن
الحجرة ، وجسده يمزج بالانفعال :

— لقد انتهت الرسالة .

التفت إليه كبير الأطباء ، يسأله فى جدّة :

— أية رسالة ؟!

أجابه الطبيب الشاب فى رهبة :

— الرسالة العقلية ، التى استقبلها ، أو أرسلها الآن .

عقد كبير الأطباء حاجيه ، وهو يهتف به فى حثي :

— أى هراء هذا ؟

بدا الطبيب شديد التوتر والانفعال ، وهو يقول :

— قل ماتشاء ياسيدى ، ولكننى أصر على قولى .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى حزم :

— إنها رسالة ..

استيقظ (رمزى) بغتة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ، وبدا
له المشهد مشوّهاً فى اللحظات الأولى ، ثم لم يلبث أن تبين عدة
وجوه حرشوفية خضراء صلعاء تنحنى نحوه ، وتتطلع إليه
بعيون مضيئة مخيفة ، فاتسعت عيناه فى دُعر ، وغمغم فى
ارتياح :

— أين أنا ؟.. أين (محمود) و (نشوى) ؟.. أين هما ؟
لم ينبس أحد هذه المخلوقات بحرف واحد ، وإنما راحت
بعض الرموز الملونة العجيبة ترسم فوق شاشة كريستالية كبيرة
خلفهم ، على نحو يؤكد مدى تقدّمهم العلمى ، وتفوّقهم
العقلى ..

وبدأ الرُّعب والدُّعر فى نفس (رمزى) فى التلاشى
تدريجياً ، وبدأ عقله يعمل ، ويدرس الأجسام المتطلّعة إليه ..
كان التكوين العام بشرياً ..

جسم وذراعان ، وساقدان ، وعنق ورأس ..

تمامًا مثل البشر ..

وكان كل مخلوق منهم يرتدى زيًا زيتوني اللون ، لامعًا ،
من قطعة واحدة ، وتبرز منه يدان حرشوقيّتان ، وأصابع
بلا أظفار ، تربطها أغشية خضراء شفافة ، تجعلها أشبه بأقدام
الضفادع ، والوجه أصلع ، حرشوفى ، بلا أنف ، وإنما
بخشومين جانبيين ، في مستوى عظام الفك تمامًا ، وفم رفيع
طويل ، وعيون لامعة مضيئة ، تبدو كقطعة واحدة ، وإن كان
المدقق فيها يلاحظ أنها تحوى قرنية أقل لمعانا ..

وهدأت نفس (رمزى) قليلًا ، حينما لاحظ أنه ما يزال
على قيد الحياة ، وعاد يسأل في لهجة أقل توثرًا :

— أين أنا ؟

عادت تلك الرموز العجيبة الملونة ترسم على الشاشة
الكريستالية ، وتابعتها عيون المخلوقات في اهتمام ، ثم أخذوا
يتبادلون إشارات صامتة ، أثارت دهشة (رمزى) واهتمامه ،
قبل أن يميل أحد المخلوقات نحوه ، ويسأله بلغة عربية ،
وبصوت خشن جاف :

— مَنْ أنت ؟

شعر (رمزى) بدهشة بالغة ، حينما تحدّث إليه المخلوق

بلغته ، ولكن صوت هذا الأخير أثار في نفسه قشعريرة باردة ،
جعلته يغمغم :

— أنا .. أنا طيب نفسى مصرى .. أذعى (رمزى) ..
هل .. هل تتحدّثون لغتنا ؟

بدت له ملامح المخلوق جامدة ، وهو يقول بنفس الصوت
الخشن الجاف :

— أنا وحدى .. الباقون ليسوا كذلك حتى الآن .. فى
القريب سيفعلون ..

ثم أشار إلى الشاشة الكريستالية ، مستطرّدًا :

— حينما يكتمل العمل .

تطلّع (رمزى) إلى الشاشة في اهتمام ، وهو يقول :

— أهو جهاز ترجمة خاص ؟

راح الجهاز يرسم نفس الرموز في سرعة ، على حين أجاب
المخلوق :

— نعم .. إنه كذلك .. تقريبًا .

اعتدل (رمزى) ، وقد بدأ الهدوء والائتران يزيحان التوثر
والانفعال من نفسه تمامًا ، وسأل المخلوق :

— أين زميلى ؟ .. أين (محمود) ؟



بدت له ملامح المخلوق جامدة ، وهو يقول بنفس الصوت الخشن الجاف :
— أنا وحدي .. الباقون ليسوا كذلك حتى الآن ..

صمت المخلوق لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب المعنى ، ثم
قال بصوته الخشن الجاف :
— أتقصد ذلك الكائن النحيل الضعيف ، الذي كان
يصحبك ؟

أجابه (رمزي) في اهتمام :
— نعم .. أين هو ؟
أشار المخلوق بأصابعه ، ذات الزعانف الشفافة ، إلى
ماخلف (رمزي) ، قائلاً :
— هاهو ذا .

استدار (رمزي) إلى حيث أشار المخلوق في لهفة ، ثم
اتسعت عيناه ذعراً ، وهو يهتف :
— يا إلهي !! .. (محمود) !!
فقد كان رفيقه يسبح داخل حوض ضخمة .. أو بمعنى أدق
في أعماق حوض ضخم ..
وكان جسده ساكناً تماماً ..
كأجساد الموتى ..

٧ — البعثة ..

حلقت هليوكوبتر نووية أخرى ، فوق الحوامة الجوهرمانية لحظات ، حتى تلقت الإذن بالهبوط ، فهبطت على سطح الحوامة ، وغادرها رجل أقرب إلى البدانة ، طيب الملامح ، اختلط بياض شعره بلونه البنى وخصلاته القصيرة المجمدة ، واتجه نحو القبطان ، وقدم نفسه ، قائلاً :

— الدكتور (محمد حجازى) .. مُوفد من قبل المخابرات العلمية المصرية ، لمتابعة الحادث .

أشار القبطان فى مرارة إلى جسم الغواصة الثانية ، التى تم انتشالها ، وهو يقول :

— أى حادث ؟ .. إننى أفضل استخدام لفظ (الكارثة) .. لقد فقدنا زميليك أيضاً .. لقد انتشلنا الغواصة الثانية أيضاً فارغة . كان من الواضح أن الدكتور (محمد حجازى) يعانى حزناً وتوتراً شديدين ، إلا أن صلابة هذا الرجل جعلته يتماسك ، وهو يقول فى هدوء حازم :

— فليكن .. إننى هنا لدراسة الأمر ، واستكمال البحث ، وستبقى حوامتك فى موضعها ، وستصل بضع طوافات ، تتبع الطيران المصرى ، لنقل الركاب إلى وجهتهم النهائية .

تنهد القبطان فى عمق ، وهو يقول :

— هل تتوقع أن تتوصل إلى شئ

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

— بالتأكيد .

هتف به القبطان فى مرارة :

— كيف ؟

مطأ الدكتور (حجازى) شفتيه ، ومضت لحظة صمت ، قبل أن يجيب فى هدوء :

— بتكرار المحاولة .

حدق القبطان فى وجهه غير مصدق ، قبل أن يهتف :

— مستحيل ! .. أتعنى ... ؟

قاطعه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

— وهل هناك وسيلة أخرى ؟

ثم أدار عينيه تجاه المحيط ، مستطرداً :

— ليس أمامنا سوى الفوضى خلفهم .. خلف الجميع .

مضت لحظة من الدهول ، و (رمزي) يحدق في جسد (محمود) ، الذي يسبح في بطن ، في أعماق الحوض ، ثم انتابه غضب هائل ، سرى كالنار في عروقه ، وجعله ينسى كل المخاطر التي تحيط به ، ويصرخ في ثورة :

— أيها الأوغاد !

ثم قفز من المنضدة ، التي وضعوه فوقها ، والتقط شيئاً بدا له أشبه بالمقعد ، واندفع نحو الحوض الزجاجي الضخم ، وراح يضربه في قوة ، محاولاً تحطيمه ، إلا أن محاولته لم تسفر إلا عن لهائه ، وخفقان قلبه في قوة ، على حين قال المخلوق ، الذي يتحدث العربية ، في هدوء ، وبصوته الخشن الجاف :

— لماذا ؟ .. لماذا فعلت ذلك ؟

استدار إليهم (رمزي) في جدّة ، وصاح في ألم غاضب ، وهو يشير إلى الحوض :

— لقد قتلتموه .. لقد أغرقتموه .. مامن بشر يحتمل البقاء

هكذا طويلاً .

قال المخلوق في هدوء :

— من قال إننا قتلناه ؟! .. إننا نعالجه .

هتف (رمزي) في دهشة :

— تعالجونه ؟!

وعاد يلتفت إلى الحوض في دهشة ، ولاحظ لأول مرة مجموعة من الأنابيب الشفافة الدقيقة ، تتصل بجسد (محمود) ، وبقناع شفاف رقيق يحيط برأسه وعنقه ، لم يلمحه في البداية لشدة شفافيته ، فعاد يغمغم في دهشة :

— تعالجونه ؟!

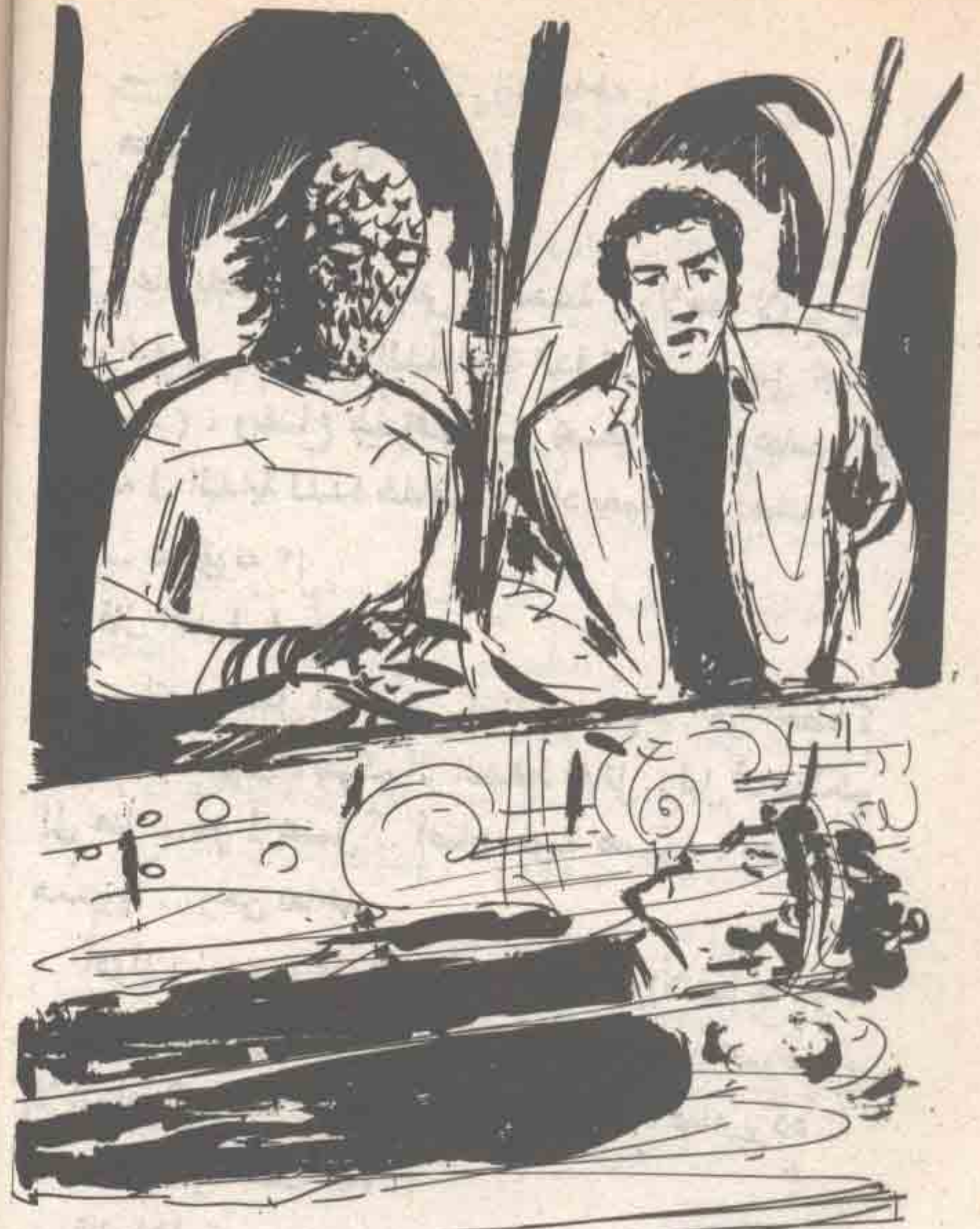
قال المخلوق في هدوء :

— إنه لم يحتمل المفاجأة .. أنت احتملتها .. نحن أحطناكم جميعاً بغلاف قوى ، يقيكم أثر الضغط الهائل ، قبل أن ننقلكم إلى هنا .. هو لم يحتمل .. أصابته نوبة عصيّة ، وصرخ في هستيرية .. ونحن نعالجه .

أدرك (رمزي) على الفور أنه صادق ، وإلا فما نجا هو ، وظلّ على قيد الحياة ، وإلا فما أصابت الصدمة (محمود) ، إلا أن إدراكه لهذه الحقيقة لم يحجب دهشته ، فعاد يردّد :

— تعالجونه تحت الماء ؟!

قال المخلوق :



وعاد يلتفت إلى الحوض في دهشة ، ولاحظ لأول مرة مجموعة من
الأنابيب الشفافة الدقيقة ، تتصل بجسد (محمود) ..

— هذه هي وسيلة علاجنا .. إنها وسيلة فعالة .. اطمئن .
استدار إليهم (رمزي) ، وراح يتطلع إليهم في خيرة ، قبل
أن يقول :

— من أنتم ؟
تحيل إليه أن المخلوق قد ابتسم ، وأن ابتسامته لم تستغرق
سوى جزء من أعشار الثانية ، عاد بعدها إلى جهوده ، وهو
يقول :

— من تصوّرنا ؟
عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يقول :
— إما قمة سلسلة تطوّر أرضية بحرية .. أو سگان
(أتلانتس) القدامى .. أغني نسلهم .

أجابه المخلوق في هدوء :
— لا هذا ولا ذاك .
ازداد انعقاد حاجبي رمزي ، وهو يهتف :
— من أنتم إذن ؟
صمت الرجل لحظة ، ثم قال كمن يلقي قبلة :
— إننا بعثة .. بعثة من كوكب آخر ..

٨ - المائيون ..

انعقد حاجبا (رمزي) في ذهول ، وهو يحدّق في وجه المخلوق
ذى الحراشيف اللامعة ، وتخيّل إليه لحظة أنه يعيش حلمًا
مزعجًا ، فهزّ رأسه في قوّة ، ليستعيد قدرته على الاستيعاب ،
قبل أن يعود للتحديق في وجه المخلوق ، مردّدًا :

— بعثة من كوكب آخر ؟!

أجابه المخلوق في هدوء :

— نعم .. كوكب مائي ، يبعد عن كوكبكم ثمانين سنة
ضوئية فحسب .. لقد انطلقنا من كوكبنا منذ خمسة أعوام ،
ووصلنا إلى كوكبكم منذ عام ونصف من زمنكم تقريبًا .. ولقد
تصوّرنا أنه كوكب مائي مثل كوكبنا ؛ نظرًا لأن الماء يغطّي ثلاثة
أخماس كوكبكم هذا ، حتى أنه لمن المدهش حقًا أنكم تعيشون
على البرّ ، أي على خمسي مساحة كوكبكم فحسب ، فالماء
يغطّي خمسة أسداس كوكبنا ، فنشأت الحياة لدينا مائة صرفة ،
أو بمعنى أدق برمائية .. فنحن نحيا خارج الماء وداخله ، ولكننا

لا نستطيع قضاء فترات طويلة خارج الماء ، وإلا اختنقنا ..
المهم أننا قد وصلنا إلى هنا منذ عام ونصف ، ووجدنا في
كوكبكم المناخ المثالي لنا .. ولما كانت أجسادنا مؤهلة لتحمل
الضغوط العالية ، بخلاف أجسادكم ، فقد استقررنا في أعماق
المحيط ، ودرسنا كل ما حولنا في دقّة ، واستغرقت دراستنا
خمسة أشهر فحسب ، وعندما أردنا العودة إلى كوكبنا ،
وجدنا سفينة متطورة تطوف بكوكبكم ، وتمنعنا من مغادرته ،
كما تمنع أيّة سفينة فضاء أخرى من الدخول إليه .

هتف (رمزي) :

— أتقصد تلك السفينة الفضائية الإمبراطورية

الأرغورانية ، التي يقودها (س ١٨) ؟ (*)

أجابه المخلوق في هدوء :

— ربّما .. لسنا ندري ما الاسم الذي تطلقونه عليها .

هتف (رمزي) في انفعال :

— أتعني أن وجود (س ١٨) في مداره ، هو فقط

ما يمنعكم من مغادرة كوكبنا ؟

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

صمت المخلوق لحظة ، ثم أجاب :

— نعم .. كان هذا هو وحده السبب في البداية .

عقد (رمزي) حاجيه ، وهو يقول في توثر :

— ماذا تعني ؟ .. أنشأت أسباب أخرى ؟

عاد المخلوق إلى صمته بعض الوقت ، قبل أن يقول :

— عندما أجبرتنا تلك السفينة الفضائية على البقاء ، رُحنا

ندرس إمكانياتها ، ونسعى لابتكار وسائل شتى لمقاومتها ،

والقضاء عليها ، حتى يمكننا العودة إلى كوكبنا ، وفي هذه

الأثناء ، رُحنا نتبادل الرسائل مع كوكبنا الأم حتى وصلتنا

رسالة غيّرت كل خططنا .

لم يفه (رمزي) بحرف واحد ، وإن حُيِّل إليه أنه قد فهم

ماسيلي ذلك ، ولقد كان تصوُّره قريباً جداً من الواقع ، وهذا

ما تأكد له ، حينما أكمل المخلوق :

— أثارت تلك الرسالة قلقنا في شدة ، فلقد كان أهلنا

هناك يخبروننا أن شمس كوكبنا قد اقتربت منه في شدة ،

وتضخمت ، فارتفعت حرارة الكوكب ، وراحت مياهه

تتبخر ، وتحوّل إلى سحب كثيفة ، وعلى الرغم من ذلك لم

تعد هناك أمطار .. تصوّر كوكباً مائياً ، يعيش كل سكّانه تحت

الماء ، حينما يصيبه الجفاف .. إن هذا يعني كارثة هائلة .. ضياع
الملايين من السكّان ، ومصرعهم .. كانت مأساة مخيفة ، تحتم
على الجميع البحث عن حلول وبدائل .

عقد (رمزي) حاجيه ، وهو يغمغم :

— وكان كوكبنا هو البديل .. أليس كذلك ؟

حُيِّل إليه مرة أخرى أن شبح ابتسامة قد مرّ بوجه المخلوق ،

قبل أن يقول :

— تقريباً .

تفجّر القلق في أعماق (رمزي) ، وهو يقول :

— وهل سيغني ذلك نوعاً من التعايش السلمي ؟

قال المخلوق في هدوء :

— لو أمكن .

سأله (رمزي) في حدة :

— ماذا تعني بـ (لو أمكن) ؟

صمت المخلوق بعض الوقت ، ثم التفت إلى رفاقه ، وتبادل

معهم حديثاً بلغة عجيبة ، جافّة الخارج ، خشنة الألفاظ ،

و (رمزي) يتابعهم في خيرة ، قبل أن يقول في عصبية :

— ماذا هناك بالضبط ؟

التفت إليه المخلوق ، وقال في لهجة بدت صارمة :
— انتظر .. إننا نتناقش .

ثم عاد يتبادل ذلك الحديث الخشن الجاف مع رفاقه ، قبل أن يلتفت إلى (رمزي) ، ويقول في هدوء :

— لقد قرّر الرفاق أن نشرح لك كل شيء بالتفصيل .

غمغم (رمزي) في توثر :

— إنني أتعشّم ذلك .

أوماً المخلوق برأسه ، وكأنما يعلن تفهّمه للأمر ، ثم قال :

— المهم أن تتقبّل ذلك .

تنبّه (رمزي) فجأة إلى نقطة عجيبة ، فهتف :

— مهلاً .. إنك تتحدّث معي الآن بطلاقة عجيبة ، على

عكس حديثك المتوثر المتقطع في البداية ، فماذا حدث بالضبط ؟

أجابه المخلوق في هدوء :

— لقد اكتملت دراستي للتحكم في أثناء حديثنا .. أبدو

لك هذا عجيباً ؟!

غمغم (رمزي) وهو يميّط شففيه :

— كلاً .. إنه لا يبدو لي كذلك .

صمت المخلوق لحظة ، قبل أن يقول :

— حسناً .. فلنعد إلى حديثنا .. لقد كان أملنا في البداية أن

نتقل إلى كوكبك في حملة سلمية ، وأن يحدث تعايش سلمى

بيننا وبين بني جنسك ، ثم تبّين لنا حقيقة تقلب كل ذلك رأساً

على عقب .

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، ثم استطرد :

— إنكم لا تقدّرون أبداً تلك المساحة الهائلة ، التي يحوزها

كوكبكم من المياه ، فأنتم تصرّون على تلويثها في كل لحظة ،

وبكل الوسائل .. إنكم تصبّون مخلفاتكم ونفاياتكم في البحار

والمحيطات ، وتجرون عشرات التجارب على التفجيرات

النووية ، والهيدروجينية ، وما يفوق ذلك في أعماق البحار ،

ولديكم سفن وطائرات ، تلقى مخلفاتها في لامبالاة في البحار

والمحيطات .. وكل هذا يؤذى قومنا .

خجل لـ (رمزي) أن صوت المخلوق قد اكتسى بصرامة

عجيبة ، وهو يُردف :

— باختصار .. إن جنسكم يمثل خطراً بالغاً على جنسنا

هتف (رمزي) في توثر :

— ولكنه كوكبنا ، ونحن وحدنا أصحاب الحق في كل ما عليه .

قال المخلوق في حدة مفاجئة :

— خطأ .. إن استهتاركم وإهمالكم يحطمان حياة المائتين في شدة وعنف .. إنكم لا تستحقون حيازة كل هذه المساحات المائية .. إنكم شعب برى ، ولستم شعباً بحرياً ..

هتف (رمزي) :

— ولكن الماء هو عماد حياتنا .

صاح المخلوق :

— لم تفسدونه إذن ؟

لوح (رمزي) بذراعه ، وهو يهتف :

— هذا شأننا ، وحقنا .

صاح المخلوق في صرامة :

— كلاً .. ليس هذا حقكم .

ثم أردف في حزم :

— إنه حقنا نحن .

عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يقول في حدة :

— ياله من منطق استعماري بغيض !!

قال المخلوق في برود :

— يمكنك تصنيفه كيفما تشاء ، ولكن هذا الكوكب

لن يحتملنا معاً .

شحب وجه (رمزي) ، وهو يقول :

— ماذا تغني ؟

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول المخلوق في برود :

— أغني — وبكل بساطة — أن هذا الكوكب لا يحتمل

شعبينا معاً .

ثم اكتسى صوته مرة أخرى بالصرامة ، وهو يُردف :

— ولقد قرّرنا — لكي يحيا شعبنا — أن نقتل شعبك .. أن

نبيده عن آخره .

اتسعت عينا (رمزي) في ذعر ، وتراجع في قَرع ، وهو

يغمغم :

— تبيدوننا ؟! ..

أجاب المخلوق في برود :

— نعم .. نبيدكم جميعاً .. هذه هي الوسيلة الوحيدة لبقاء

شعبنا .

ألجمت المفاجأة لسان (رمزي) لحظات ، قبل أن يغمغم

في صوت مختنق :

— ومن قال : إنه سيمكنكم ذلك ؟ .. إن (س ١٨)
يطوف بالسفينة الفضائية الأرجورانية حول الأرض ، ومهمته
لا تقتصر على منع غزوها من خارجها فحسب ، وإنما تمتد إلى
منع أى نوع من الحروب داخلها ، وهو لن يسمح لكم
بإطلاق قذيفة واحدة .

في هذه المرة ، ارتسمت ابتسامة واضحة على شفתי
المخلوق الرقيقتين ، وهو يقول :

— ومن قال إننا سنفعل ؟ .. إننا لن نطلق قذيفة واحدة ..
بل إن كل ما سنفعله هو أن نساعدكم على النمو .

لم يفهم (رمزي) العبارة ، فعقد حاجبيه في حيرة ، على
حين استطرد المخلوق في لهجة أقرب إلى السخرية :
— النمو حتى الموت ..



٩ — المحاولة الأخيرة ..

عقد قبطان (الهوفر كرافت) حاجبيه في حنق ، وهو يراقب
آخر طوافات المخابرات العلمية المصرية ، وهي تنقل آخر
الركاب ، ثم أدار عينيه إلى اليسار ، حيث يتم إعداد الغواصة
الثالثة (ق — ٣) ، للغوص في الأعماق ، وقال في جدّة :
— خطأ .. كل ما يحدث خطأ .

التفت إليه الدكتور (محمد حجازي) ، وسأله في هدوء :
— ما الخطأ الذي تُعنيه ؟

لوح القبطان بذراعه ، وهو يقول في جدّة :

— كل هذا خطأ .. حتى موافقة المسؤولين في الشركة ، على
منحكم غواصة ثالثة ، نوع من الحماية والخطأ .
سأله الدكتور (محمد حجازي) في هدوء :

— لماذا ؟

هتف في حنق :

— لأننا لا ندرى ماذا يحدث في أسفل .. لقد هبطت
غواصة أولى ، واختفى الصيية الثلاثة ، الذين كانوا داخلها ،

ثم عادت إلينا مشقوقة على نحو مخيف ، وكأنها قطعة من الزبد قطعها سكين حاد ، وبعدها هبطت غواصة أخرى ، تحمل رجلين من رجالكم بلغ بهما الحماس مبلغه ، فأصابها ما أصاب الأولى ، واختفى راكباها .. وإني لأتساءل : كيف يمكن لك أن تكرر الخطأ نفسه ؟

أجابه الدكتور (محمد حجازي) في صوت عميق :
— لأنه واجبي .

تطلع إليه القبطان في دهشة ، وهو يردد :
— واجبك ؟!

أوما الدكتور (حجازي) برأسه إيجاباً ، وقال :
— نعم أيها القبطان .. إنه واجبي .

وترقرقت في عينيه دمعة حارة ، وهو يردد :

— قد يدهشك أنني لست أحد رجال المخابرات العلمية ، بل أنا في الواقع طبيب شرعي .. كبير الأطباء الشرعيين في (مصر) ، وعضو منتدب بإحدى فرق المخابرات العلمية المصرية ، وهو فريق نادر ، بدأ في الانهيار مثل ما يقرب من عام كامل .. فقائد هذا الفريق هو الرائد (نور الدين) ، الذي يرقد مع زوجته في غيبوبة كاملة منذ عام ، وتلك الصبيّة ، التي

اختفت في الغواصة الأولى ، هي ابنتهما ، وهذان الرجلان ، اللذان خاطرا بروحيهما لاستعادتهما هما عضوا الفريق .. ولتعلم أيها القبطان أن هذا الفريق من أعظم فرق المخابرات في العالم ، وأن أفرادهم قد خاطروا بأرواحهم وأنفسهم عشرات المرات ؛ ليحافظوا على حياتك وحياتي ، وليذودوا عن وطنهم تارة ، وعن العالم تارة أخرى ، ومن حقهم علينا ، حينما يواجهون الخطر ، أن نفعل كل ما بوسعنا للذود عنهم .. إنهم يستحقون منا ذلك .. أليس كذلك ؟

صمت القبطان طويلاً ، وشرد بصره بعيداً ، قبل أن يقول في حزم :

— بلى .. إنهم يستحقون ذلك .

وأشار بيده ، مستطرداً :

— هيّا .. لا بدّ لنا من إعداد الغواصة في أسرع وقت ، فستغرق رحلتنا طويلاً .

تطلع إليه الدكتور (حجازي) في دهشة ، وهو يغمغم :
— رحلتنا ؟!

أجابه في حزم :

— بالطبع .. هل تصوّرت أنني سأسمح لك بالذهاب

وحدك؟.. صحيح أن كل ما يحدث عبارة عن حماقة ، إلا أنني أرفض أن أتميز عن الآخرين دوماً ، ومادامت الحماسة قد أصابتهم جميعاً ، فلم أتميز أنا ؟

التحمت عينا الدكتور (حجازى) ببريق اللهفة ، على حين استطرد القبطان :

— إنهم يستحقون ذلك .. أليس كذلك ؟

حذق (رمزى) فى وجه المخلوق المائى فى دهشة ، وهو يسأله فى خيرة :

— ماذا تقصد بقولك : إنك ستجعل أهل الأرض ينمون حتى الموت ؟

ابتسم المخلوق ، وهو يقول :

— الحرب الكيميائية أياها الأرضى .. هكذا تطلقون عليها .. أليس كذلك ؟

عاد (رمزى) يسأله فى عصبية :

— ماذا تعنى ؟

أجابه المخلوق فى هدوء :

— منذ علمنا بأمر الكارثة ، التى ينتظرها كوكبنا ، رُحنا

نجرى أبحاثنا فى اتجاهين .. أولهما : هو كيفية التغلب على تلك السفينة الفضائية ، التى ستعرض حتماً سفن كوكبنا ، حينما تأتى إلى هنا .. وثانيهما : هو كيف يمكننا القضاء على سكان كوكب الأرض ، بوسيلة لا تستثير تلك السفينة الحارسة .. ولقد حققنا ثانياً قبل أولاً .. وجدنا الوسيلة .

صمت لحظة ، كاد (رمزى) خلالها يقضى فضولاً ، قبل أن يستطرد :

— وسيلة كيميائية متطورة .. عقار رائع ، له نفس كثافة الماء ، بالإضافة إلى خواص أخرى ستدهشك ، فهو يدفع أجسادكم إلى النمو فى سرعة مخيفة .

غمغم (رمزى) فى شحوب :

— أتقصد أننا سنتحول إلى عمالقة ؟

هز المخلوق رأسه نفياً ، وهو يجيب :

— بل إلى كهول .

اتسعت عينا (رمزى) فى دُغر ، وقد أدرك فداحة الموقف ، وانعقد لسانه ، فلم ينطق بحرف واحد ، والمخلوق المائى يستطرد :

— إننا سنطلق عقارنا فى البحر ، وبخواصه النادرة سيتبحر

مع المياه التي تبخرها أشعة الشمس ، ويختلط بالسحب ، ثم
يهبط مع الأمطار في منابع الأنهار ، وينطلق ليروي
المزروعات ، ولترتوا منه أنتم .. وفجأة تبدءون في النمو ..
الطفل سيصبح شاباً بعد الجرعة الأولى ، والرجل يتحوّل إلى
كهل ، والكهل يذبل ويموت .. وما هي إلا أيام ، ويفتني كل
سكان الأرض بالشيخوخة ، قبل أن يدركوا من أين أتاهم
الموت .

غمغم (رمزي) في ارتياح :

— يا للبشاعة !!

هتف المخلوق :

— بل قل يا للروعة !! إن عقارنا ستيح لنا السيطرة على
كوكبك كله في أقل من أسبوع ، حينما تكتمل تجارنا عليه .
شحب وجه (رمزي) في شدة ، وهو يهتف :
— إنك تكذب .. لا وجود لمثل هذا العقار .. إنك
تكذب .

ارتسمت ابتسامة على شفתי المخلوق ، وهو يقول :

— هكذا ؟!

ثم اتجه نحو حوض زجاجي مغطى ، وكشف عنه الغطاء ،
وهو يقول :

— أتعلم ما هذا ؟

حدّق (رمزي) في جسد عجوز متفضّن ، يرقد داخل
الحوض ، وملامحه تشف عن خلوّ جسده من الروح ، وغمغم :
— تقصد من هذا ؟ .. لست أدري .. إنه عجوز في
السبعين على الأقل .

ابتسم المخلوق ، وقال :

— بل هو أحد الصبيّين ، اللذين أخذناهما من الفواصة
الأولى ، بعد أن أعطينا جرعة كبيرة من العقار .

تراجع (رمزي) في رُعب ، وهو يهتف :

— أحد الصبيّين ؟ .. يا إلهي !!

واتسعت عيناه دُغراً ، وهو يستطرد :

— وأين (نشوى) ؟ .. ماذا أصاب (نشوى) ؟

سأله المخلوق في اهتمام :

أتقصد الصبيّة ؟

أوماً (رمزي) برأسه في ارتياح ، فأشار المخلوق إلى حوض

آخر ، وهو يقول :



وخفق قلبه في اطمئنان ، حينما رفع المخلوق الغطاء ، فوجد (رمزي)
(نشوى) ترقد داخله ، بجسد طفلة في العاشرة ، استغرقت في نوم عميق ..

— إنها هنا .

ثم اتجه نحو الحوض ، ليرفع عنه الغطاء ، فتجمدت أطراف
(رمزي) ، وارتجف في شدة ، وهو يخشى أن يجد داخل
الحوض عجوزاً شمطاء ، ثم لم يلبث أن تنهّد في ارتياح ، وخفق
قلبه في اطمئنان ، حينما رفع المخلوق الغطاء ، فوجد (رمزي)
(نشوى) ترقد داخله ، بجسد طفلة في العاشرة ، استغرقت
في نوم عميق ، وهتف (رمزي) :

— حمدا لله .. إنها بخير .

قال المخلوق في هدوء ، وهو يشير إليها :

— إننا نذخرها لتجربة أخرى .

صاح (رمزي) في ارتياح :

— كلاً .. ليس (نشوى) .

ابتسم المخلوق ، وهو يقول في برود :

— لماذا ؟ .. إنها ستكون أولى تجاربنا على أنثى .

ثم رفع يده ، مطلقاً عبارة بلغته الحشنة الجافة ، فحمل أحد
المخلوقات الأخرى شيئاً يشبه قينة صغيرة ، واتجه إلى حيث
ترقد (نشوى) ..

وارتجف جسد (رمزي) في دُغر ..

هل ستركهم يفعلون ذلك بـ (نشوى) ؟ ..
هل ستركهم يفعلون ذلك بكوكب الأرض ..
كلًا ..

إنه سيمنعهم ..

سيمنعهم مهما كلفه الأمر ..

وفي سرعة وحزم ، اتجه بصره إلى إحدى الكُرّات
اللامعة ، التي رأى المخلوقات تطلقها نحو الفؤاصة ، فقفز
نحوها والتقطها ، وهو يهتف :

— كلًا .. لن تفعلوا .. لن تفعلوا ..

وفجأة .. كشف أنه لا يعلم كيف يطلقون تلك الكُرّة
المصمطة ..

وارتجف جسده مرّة أخرى ، حينما رأى كُرّات المخلوقات
ترتفع نحوه ..

ارتجف في قوّة ..

١٠ — نهاية الجزء الأوّل ..

فجأة .. أدرك (رمزى) كيف يُطلق تلك الكُرّة اللامعة ..
قد تكون مصادفة بحتة ..

أو هو عمل القدر ..

المهم أنه قد أدرك ذلك بغتة ..

لقد لاحظ في غمرة توتره ، دائرتين باهتين ، على جانبي
الكُرّة ، التي يُمسك بها ، وثقب دقيق بينهما ، فاحتوى الكُرّة في
راحتيه في سرعة ، وضغط الدائرتين على جانبيها بسبّابه وإبهامه ،
فانطلق خيط من أشعة زرقاء من ذلك الثقب بينهما ، أصاب
ذلك المخلوق ، الذي يتقدّم نحو (نشوى) ، في صدره ، فدفعه
إلى الوراء ، وأسقطه جثة هامدة ..

وهنا سرّت موجة من الغضب بين المخلوقات الأخرى ،
وانطلقت خيوط أسلحتهم الزرقاء نحو (رمزى) ، الذي مال
جانبا ، وقفز متفاديا خيوط الأشعة العديدة ، وبدا له الأمر
أشبه بالحلم .. أو بالكابوس ، وهو يطلق أشعة كُرّته نحو
صدورهم وأجسادهم ..

ثم اخترق خيط من الأشعة ساعده ..
صرخ متألمًا ، وحاول أن يواصل القتال ، إلا أن خيطًا
آخر من الأشعة أصاب ساقه ، فتهاوى صارخًا ، ورأى
الكُرّات تتجه إليه ، فصرخ في مرارة :
— فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .. سأموت راضيًا من أجل
كوكب الأرض .
وبدا واضحًا أنها النهاية ..

لأوّل مرّة منذ قدومه ، عجز الدكتور (محمد حجازى)
عن الاحتفاظ بذلك القناع الهادئ على وجهه ، وهو يتطلع إلى
ساعته ، مغمغمًا في توتر :
— كم يستغرق إعداد تلك الغوّاصة ؟ .. إننا ننتظرها منذ
ساعتين !

أجابه القبطان فى هدوء :

— اهدأ يا دكتور (حجازى) .. سيستغرق إعداد تلك
الغوّاصة وقتًا أطول من سابقتها .

هتف به الدكتور (حجازى) فى توتر :

— لماذا ؟

أجابه القبطان فى حزم :

— لأتنبأ قُررت أن أتخاشى كل ما حدث للغواصتين
السابقتين .. إن الدلائل كلها تشير إلى أن الشيء الذى هاجم
الغواصتين ، قد اعتمد على عدم وجود آلات تصوير على
سطحها ؛ لذا فقد كان يتسلّل إلى السطح ، ويفصل كابلات
آلات التصوير أوّلًا .. ولهذا أمرت بإضافة آلات تصوير على
السطح أيضًا ، كما أمرت بتغطية جدران الغوّاصة الخارجية
بالمرايا .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :
— ولماذا ؟

ابتسم القبطان ، وهو يقول .

— حتى تعكس تلك الأشعة ، التى يستخدمونها لشقّ
الجدران .. هكذا قال خبير الأشعة التابع لكم .

ثم تنهّد ، قبل أن يردف :

— إننى أحاول أن أزيد من فرص نجاحنا .. وهذا أفضل .

كانت ثقبوب كل الكُرّات اللامعة مصوّبة نحو
(رمزى) ..

وكان هو يستعدّ حقًا للموت ..

وفجأة .. اعترض ذلك المخلوق ، الذى يتحدث العربية ،
الطريق ، وحال بينه وبين طلقات الأشعة الزرقاء القاتلة ، وهو
يهتف برفاقه ، مستخدماً لفهم الحشنة الجافة ، ثم استدار إلى
(رمزى) ، قائلاً بالعربية :

— لن يقتلوك أيها الأرضى .
عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يرفع كثرته نحوه ، قائلاً فى
جدة :

— قد أقتلهم أنا .
هز المخلوق رأسه نفياً ، وقال :
— سيكون من المؤسف أن تحاول .
ثم أشار إلى جسد (محمود) ، المتصل بعشرات الأنايب
الشفافة الدقيقة ، والذى يسبح فى أعماق الحوض الضخم ،
وأضاف :

— ستكون حياة زميلك هى الثمن .. آنذاك .
هتف (رمزى) فى حنق :
— وستكون حياة الأرض كلها هى الثمن ، لو لم أحاول .
ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى هدوء :
— لن تفيد محاولتك .

وفجأة .. تألقت الكرة الالامعة بين أصابع (رمزى) ،
وانبعثت منها حرارة هائلة ، جعلته يلقيها بعيداً ، وهو يصرخ فى
ألم ، وأدهشه أن رآها تتحول إلى كومة من الرماد ، قبل أن
تسقط أرضاً ، فهتف فى دهشة :

— كيف فعلت هذا ؟
ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى هدوء :
— إننى لم أفعل شيئاً .. رجال الأمن الآليون فعلوا .
لم يفهم (رمزى) معنى العبارة فى البداية ، ثم لم يلبث أن
فهمه تماماً ، حينما فوجئ بذراعين معدنيين يطوقان وسطه من
الخلف ، ورأى المخلوق يبتسم فى ثقة وشماعة ، وهو يردف :
— لم يستدعهم أحد بالطبع .. نشوب القتال بيننا هو الذى
أتى بهم .

شعر (رمزى) برغبة قوية فى البكاء ، وهو يجد نفسه
عاجزاً على هذا النحو ، بين ذراعى رجل الأمن الآلى
القولاذيتين ، فغمغم فى مرارة :
— لماذا طلبت من رفاقك ألا يقتلوني ؟
ابتسم المخلوق ، وهو يقول :
— إن لى أسبابى .

ثم أشار إلى أحد زملائه ، وألقى عبارة بلغت الحشنة
الجافة ، قبل أن يلتفت إلى (رمزى) ، قائلاً :

— لن يمكننا الانتظار هنا طويلاً ، فلا بد لنا من الفوص
قليلاً في الأعماق ، لاستعادة نشاطنا .. وقبل أن نتركك ،
ستشاهد بنفسك أثر عقارنا .

اتسعت عينا (رمزي) في رُعب ، حينما رأى أحد هذه
ال مخلوقات يتجه نحو (نشوى) ، ويفتح شفيتها الصغيرتين ، ثم
يضع بينهما نقطة واحدة من العقار ..
وفجأة .. فتحت (نشوى) عينيها ، وبدأ وكأنها تتألم في
شدة ، قبل أن تهتف :

— أوى .. أوى ..
ثم أطلقت صرخة مدوية ..
صرخة إنسان يحضر ..

تعالى وقع أقدام الطبيب المعالج لـ (نور) و (سلوى) ،
وهو يغدو غبر رواق المستشفى الطويل ، والانفعال يملأ كل
خلجة من خلجاته ، قبل أن يقتحم حجرة كبير الأطباء ، الذي
يجتمع بطاقم الأطباء ، ويهتف بصوت لاهث :

— سيدي .. تطوّر خطر ياسيدي .. بالغ الخطورة .
استدار إليه طاقم الأطباء في قلق ، وهتف به كبير الأطباء
في لهفة :

— هل عادت إليهما الظاهرة على نحو أقوى ؟



شعر (رمزي) برغبة قويّة في البكاء ، وهو يجد نفسه عاجزاً على هذا
النحو ، بين ذراعى رجل الأمن الآلى الفولاذيتين ..

أوما الطيب الشاب برأسه إيجابًا ، وهو يقول في انفعال
قوى :

— نعم يا سيدي .. لقد حدث ذلك في البداية ، ثم
هت لحظة من شدة الانفعال ، فصاح به كبير الأطباء ، في
لهجة مَنْ لم يطق صبرًا :
— ثم ماذا ؟

اتسعت عينا الطيب الشاب ، وهو يهتف :
— لقد استيقظا يا سيدي .. لقد استعاد الرائد (نور)
وزوجته وعيها ..

باسم

www.dvd4arab.com

نعم ..

لقد استيقظا ..

لقد أيقظتهما صرخة ..

صرخة سمعها قلباهما ، من عمق كيلومترين ، تحت سطح

المحيط الأطلنطي ..

وبدأت جولة جديدة ..

جولة بين سادة المخبرات العلمية .. وسادة الأعماق ..

[انتهى الجزء الأول]

[ويليه الجزء الثاني (المحيط الملتهب)]



المحيط الملتهب



باسم

www.dvd4arab.com

ملف المستقبل • المحيط الملتهب • ٦٣ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

المحيط الملتهب

- هل يعود (نور) و (سلوى) إلى عالم الواقع حقاً ؟
- كيف يواجه أهل الأرض غزو سادة الأعماق ؟
- ما مصير (نشوى) ؟ وما مصير الأرض .. في معركة (المحيط الملتهب) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك فريقنا في الأحداث ..

٦٣



قروش جنيف

وما يعادله بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم

العدد القادم : السيف البلورى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بالتعاون مع مؤسسة الصحافة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

١- العُودة ..

مضى عام كامل ، منذ سقط (نور) و (سلوى) في
غيوبتهما العميقة ، التي انتزعتهما من مجرى الزمن والأحداث ،
إثر عودتهما من بعد آخر ، في مغامرتهما الأخيرة (*) .

كان الزمن بالنسبة إليهما ثابتاً جامداً ، ولكنه لم يكن
كذلك خارجهما ..

كان يزخر بالمواقف والأحداث ..

كانت ابنتهما (نشوى) قد بلغت الحادية عشرة من
عمرها ، وهي تصحب زميلهما (رمزي) ، الذي تعهد لها
برعايته ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، في رحلة بحرية ، على
متن حوامة جوبيرمانية (هوفر كرافت) ، عبر المحيط الأطلنطي ،
حينما اشتعلت الأحداث ..

أعلن قبطان (الهوفر كرافت) عن برنامج جديد ، ألا وهو

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠) .



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

الغوص إلى عمق كيلومترين ، في قرار الأطلنطي ، داخل
غواصة تجريبية جديدة ، أطلقت شركته عليها اسم
(ق - ١) ..

وتقرر أن يفتح الرحلة الأولى ثلاثة أطفال ..

(نشوى) .. ابنة (نور) و (سلوى) و طفلان آخران ..

(طارق) و (هشام) ..

وعلى الرغم من قلق (رمزي) وتوتره ، إلا أنه لم يشأ أن
يحرم الصغيرة متعتها ، فوافق على غوصها مع الصيَّين إلى
الأعماق ..

وهبط الصيَّية الثلاثة إلى الأعماق ..

وسجلت الأجهزة المتصلة بجسدي (نور) و (سلوى)

اضطرابًا واضحًا ..

لقد تلقى عقلاهما رسالة خطر من ابنتهما ، وهما غارقان في

غيوبتهما ..

وكانا على حق ..

لقد تعرَّضت الغواصة لحادث غامض ، واختفى الصيَّية

الثلاثة من داخلها ، بعد أن شقَّت قوَّة مجهولة جدارها ، كما لو

كانت سكينًا حادًا ، يشقُّ قالبًا من الرُّبْد الطَّازج ..

وانضمَّ (محمود) إلى رفيقه (رمزي) ، للبحث عن
(نشوى) ، في أعماق أعماق الأطلنطي ..
وهبط الاثنان داخل الغواصة الثانية ، (ق - ٢) ، إلى
الأعماق ..

وحدثت المفاجأة ..

لقد هاجمها سادة الأعماق ..

مخلوقات برّمائية ، ذات وجوه بشرية خضراء ، تغطيها
حراشيف لامعة ، بلا أنوف ، وبأفواه رفيعة رقيقة ، وعيون
مضيئة مُضْمَتَة ..

واختفى (رمزي) و (محمود) بدورهما ..

ومرَّة أخرى ، سجَّلت الأجهزة المتصلة بجسدي :

(نور) و (سلوى) اضطرابًا ..

وانطلق الدكتور (حجازي) لنجدة رفيقه ..

وبدأ الإعداد لرحلة الغواصة الثالثة .. (ق - ٣) ..

وفي أعماق المحيط عرف (رمزي) الحقيقة ..

عرفها ، وهو يتطلَّع إلى رفيقه (محمود) ، الذي يسبح في

قرار حوض مائي ضخم ، وجسده يتصل بعشرات الأنايب

والأسطوانات الشفَّافة الدقيقة ..

عرف أن سادة الأعماق هم مخلوقات من كوكب آخر ..
كوكب مائى ..

مخلوقات جاءت لاستكشاف كوكب الأرض ، وإعدادة
لاستقبال شعبهم ، الذى يتعرض لخطر الهلاك ، بعد أن اقتربت
شمس كوكبهم منه ، وراحت تبخر الماء ، الذى يعتمدون عليه
للحياة ..

وحينما أنهوا رحلة استكشافهم ، وأرادوا العودة ، منعهم
تلك السفينة الإمبراطورية الأرغورانية ، التى يقودها
(س ١٨) ، فى مدار حول كوكب الأرض ، لمنع الحروب
والغزوات (*) ..

وأصبح من المَحْتَم بالنسبة إليهم أن يقولوا ..

وأن يفتنوا سكان كوكب الأرض ..

وكانت حُطَّتْهم لإفناء كوكب الأرض رهية مخيفة ..

كانت حُطَّة كيميائية ، تعتمد على نشر عقار خاص على

كوكب الأرض ..

عقار نُمُو ..

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

ولقد شاهد (رمزى) نتائج هذا العقار ..

شاهد (طارق) .. أحد الصبيّين اللذين صحبا
(نشوى) ، وقد تحوّل إلى عجوز مُتَعَصِّن ، بعد أن تعرّض
للعقار ..

وأدرك (رمزى) فداحة الأمر ..

وأمام عينيه حاول سادة الأعماق إعطاء (نشوى)
العقار ..

وانفجر (رمزى) ..

انفجر كبركان ثائر هاجر ؛ لإنقاذ (نشوى) ، وحماية
كوكب الأرض ..

وهُزِمَ (رمزى) ..

دحره سادة الأعماق بقوَّتهم ، وتكنولوجياهم المتطورة ..
وارتجف قلبه فى لوعة وألم ومرارة ، حينما رآهم يسقطون
قطرة من عقار النُمُو ، بين شفتى (نشوى) ..

وصرخت (نشوى) ..

هتفت تنادى أباه وأُمها ، ثم أطلقت صرخة ألم مدوية ..

وهذه المرأة سجّلت الأجهزة المتصلة بجسدى (نور)

و (سلوى) اضطرابا هائلا ..

وبعد عام ..

عام كامل ..

وبفضل صرخة من بين شفتي ابنتهما ، من عمق كيلومترين ، في قاع الأطلنطي ..

عاد (نور) و (سلوى) إلى وعيها ..

عادا لبدء مرحلة جديدة من الصراع ..

عادا لينطلقا إلى المحيط الملتهب (*) ..



(*) لمزيد من الأحداث والتفاصيل ، راجع الجزء الأول (سادة

الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

٢ — جولة جديدة ..

هتف كبير أطباء مستشفى (القاهرة) المركزي ، وهو يندفع في خطوات أقرب إلى العدو ، عبر الرواق الذي يقود إلى حجرة العناية المركزة بالمستشفى :

— أنت واثق ؟ .. هل استيقظا حقاً ؟! .. هل استعادا وعيها ؟!

هتف الطبيب المعالج الشاب ، من فرط الانفعال ، وهو يسير إلى جوار كبير الأطباء ، هاتفا :

— لم أكن لأخبرك ، لو لم أكن واثقا تمام الثقة ياسيدى ..

لقد سجلت أجهزة مراقبة إشارات المخ ارتفاعا ملحوظا في

البداية ، إلا أنني تصوّرت أن ذلك مجرد عودة إلى تلك

الظاهرة ، التي تكرّرت أكثر من مرة ، منذ الصباح ، ولكنني

فوجئت بكل الأجهزة ، المتصلة بالمراكز الحيوية ، تنشط فجأة ،

وتعلن عن عودتها للعمل في كفاءة ، ثم سمعت السيدة تتأوه ،

وفتح الرائد عينيه ، وتطلّع إلى في وهن ، وهو يفهم بكلمات •

غير مفهومة .. لقد استعادا وعيها .

بالفعل يا سيدي ..

عاد كبير الأطباء يهتف في ذهول :

— يا لها من معجزة !! .. يا لها من معجزة !!

توقف بفتة ، واتسعت عيناه في انبهار ، وهو يحّدق في
جسد (نور) ، الذي جلس على طرف فراشه ، وراح
يتحسس الأسلاك والأنابيب الدقيقة المتصلة بجسده في خيرة ،
على حين تطلعت إليه (سلوى) بعينين ذابلتين ، وهي ترقد
على فراشها ساكنة ..

وأسرع كبير الأطباء نحو (نور) ، وهو يهتف في انفعال :

— حمدا لله .. حمدا لله على استعادتكما وعيكما أيها

الرائد .. إنها حقًا لمعجزة !! ..

أدار (نور) عينيه إليه في خيرة ، وهو يقول :

— ماذا حدث ؟ .. أين نحن ؟

أجابه كبير الأطباء ، وهو يفحصه في اهتمام :

— إنكما هنا منذ عام كامل .. لقد فقدتما وعيكما ، إثر

عودتكما من عالم عجيب ، أو شيء من هذا القبيل ،

واستيقاظكما معًا ، دون مبرر واضح ، وفي وقت واحد ، هو

في حد ذاته لغز من ألغاز هذا العالم .

غمغم (نور) في دهشة :

— عام كامل ؟!

على حين تتمت (سلوى) في ضعف وهفة :

— نشوى .. أين ابتنا (نشوى) ؟!

أجابه كبير الأطباء في انفعال :

— رويدك يا سيدي .. لست أريد أية انفعالات .. لا داعي

حتى للحديث ، سيكون كل شيء على ما يرام بإذن الله ، المهم

أنكما قد استعدتما وعيكما ، وهذا هو المهم .. حمدا لله على

سلامتكما .. حمدا لله ..

وضع (نور) يده على كتف كبير الأطباء ، وهو يقول في

قلق واضح :

— سيدي .. قد يبدو لك حديثي عجيبًا ، مناقيًا للمنطق

والعقل ، ولكنني رأيت في غيوبتي حلمًا عجيبًا مقلقًا ، يتعلق

بابتنا (نشوى) ؛ لذا تجددني أصرّ على الاطمئنان عليها أولاً .

حدّق كبير الأطباء في وجهه في خيرة ، وغمغم :

— حلم في غيوبة ؟ .. عجبا !!

ثم لم يلبث أن استدرك في اهتمام :

— حسنًا .. كيف يمكنني معاونتكما على تحقيق رغبتكما ،
بشأن الاطمئنان على ابنتكما ؟ صمت (نور) لحظة ، وكأنما
اختلفت الأفكار في رأسه ، من طول استسلامه لغيوبته ، ثم
قال في ببطء ، وهو يضغط كل حرف من حروف كلماته :
— اتصل بالخببرات ياسيدى .. بالخببرات العلمية
المصرية ..

انتهى إعداد الغواصة التجريبية (ق — ٣) ، تمامًا ،
وبانت مستعدة للغوص إلى عمق كيلومترين ، في قرار المحيط
الأطلسي ، واتجه إليها الدكتور (محمد حجازى) وقبطان
(الهوفر كرافت) ، الذى غمغم في توثر :
— أراهنك أنهم سيمنحون اسمنا قلادتي الحماقة ، من
الدرجة الأولى ، وسيقيمون لنا نصبًا تذكاريًا عائمًا ، تخليدًا
لانتحاريتنا وسخافتنا .

قال الدكتور (حجازى) في هدوء :

— يمكنك التراجع .. الوقت لم يفت بعد .
عقد القبطان حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— من ذا الذى يفكر فى التراجع .. مادمنّا قد بدأنا تلك
الحماقة ، فلا تراجع عنها أبدًا .
كانا يعتزمان ولوج الغواصة الصغيرة ، حينما هتف أحد
البحارة .

— لحظة يا دكتور (حجازى) .. هناك برقية عاجلة لك .
غمغم الدكتور (حجازى) فى قلق :
— برقية عاجلة ؟!

ثم التفت إلى القبطان ، مستطردًا فى اهتمام :
— فليكن .. أعد العدة للغوص ، وسأعود إليك بعد
لحظات .

تابعه القبطان ببصره ، وهو يتجه نحو كابينة الاتصال ، ثم
غمغم فى سخط :

— يا لحماقتى !!.. كيف وافقت على أن أصحبه فى تلك
الرحلة ؟ .. إنها تذكرة بلا عودة بالتأكيد .

وزفر فى عمق ، ثم دلف إلى الغواصة ، وراح يعد آلاتها
وأجهزتها ، استعدادًا لرحلة الغوص ، المخوفة بالمخاطر
والغموض ، واستغرقه ذلك بعض الوقت ، حتى أنه لم يشعر
إلا بصوت الدكتور (حجازى) يعلو إلى جواره ، قائلاً :

— انتظر يا صديقي .. لن تبدأ الرحلة الآن .

التفت إليه القبطان ، وهو يهتف في لهفة :

— هل قرّرت إلغاء الرحلة ؟

أدهشه تهلّل أسارير الدكتور (حجازى) ، واختلاجة

صوته ، وهو يجيب فى حماس :

— بل تقرّر تأجيلها فحسب ، فلقد حدثت المعجزة ،

واستعاد والدنى (نشوى) وعيها ، وسينضمّان إلى حملتنا

الثالثة .

اتسعت عينا القبطان ، وهو يهتف :

— استعادا وعيها ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سعادة وحماس :

— نعم يا صديقى .. لقد انضمّا إلى المعركة ، وعلى المحيط

أن يرتجف ، فقد جاءه من يقهره .

هتف كبير أطباء مستشفى (القاهرة) المركزى فى حنق ،

وهو يتطلّع إلى (نور) و (سلوى) ، اللّذين ارتديا ثيابهما ،

واستعدّا للرحيل ، على الرغم من شحوبهما وضعفهما

الواضحين :



ثم التفت إلى القبطان ، مستطرّداً فى اهتمام :

— فليكن .. أعدّ العدة للغوص ، وسأعود إليك بعد لحظات ..

— خطأ .. ما تفعلاه يُعَدُّ من أسخف ما رأيت في حياتي كلها ، فلقد استعدتُما و عيكما منذ لحظات ، بعد عام كامل في غيبوبة عميقة ، ومن الطبيعي أن تشعر عضلاتكما بوهن رهيب ، تخاذل شديد ، حتى أنني أتساءل في خيرة : كيف أمكنكما الوقوف على أقدامكما هكذا ؟! .. ثم إنكما تحتاجان إلى رعاية طبية كاملة ، وتغذية جيدة ، لمدة شهر كامل على الأقل ، ومن المستحيل أن أسمح لكما بالانصراف الآن .

أجابه (نور) في حزم :

— من حقك أن ترفض ، ومن حقك أيضاً أن تعتبرنا هارين ، وتبلغ عنا جهاز الأمن ، ولكننا لن نتراجع ياسيدي .. مَغْدِرَةٌ .

هتف كبير الأطباء في سخط :

— هذا يتنافى مع أبسط قواعد المنطق والعقل .

أجابه (سلوى) في جدّة :

— اسمع ياسيدي الطبيب .. لقد استعدنا وعينا لهدف محدود ، لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) .. ولقد استيقظنا لنجد أن ابتنا قد اختفت في أعماق المحيط الأطلنطي ، وتبعها رفيقانا ، وآخر صديق لنا في هذا العالم يستعدُّ للحاق بهم ..

وإذا كان الجميع يبدلون أرواحهم من أجل ابتنا ، فنحن الأجدر ببذل روحينا من أجلها .. ولقد وافقنا القائد الأعلى للمخابرات العلمية على ذلك ، وهناك طوّافة تنتظرنا في ساحة المستشفى ، لتقلّنا على الفور إلى وسط المحيط ، ولن نتراجع مهما كانت الأسباب .. هل يمكنك استيعاب الأمر الآن ؟ استمع إليهما كبير الأطباء متسع العينين في دهشة ، ثم لم يلبث أن أومأ برأسه إيجاباً ، وهو يغمغم :

— نعم .. يمكنني ذلك .

صافحه (نور) في قوّة ، لالتناسب مع شحوبه الواضح ، وهو يقول :

— شكراً لك ولمستشفاك ، لرعايتكم لنا طيلة عام كامل ياسيدي ، وأتعشّم أن نلتقي مرّة أخرى ، في هذا العالم . غمغم كبير الأطباء :

— صدّقني .. إنني أتمنى ذلك .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، واتجه مع (سلوى) إلى الطوّافة .

وبدأت رحلتها نحو المحيط ..

وبدأت جولة جديدة ..

٣ - الأعماق ..

صافح الدكتور (حجازي) و (نور) و (سلوى) في حرارة ،
وترقرقت في عينيه دموع الفرح ، وهو يقول في انفعال :
— هذا لله على استعادتكما وعيكما يا ولدَيَّ .. رَبِّ ضَارَّة
نافعة .

أجابه (نور) في حزم :
— المهمُّ أن يكون لعودتنا هدف أو فائدة يا سيدي .. المهمُّ
هو أن يفيد ذلك ابتنا ورفيقينا (رمزي) و (محمود) .
قال الدكتور (حجازي) في حماس :
— إيماني بالله (سبحانه وتعالى) يجعلني أجزم بأن
استعادتكما وعيكما ، في هذا التوقيت ، لم يكن لهدف آخر
يا ولدَيَّ ..

أشارت (سلوى) إلى الغواصة الصغيرة (ق-٣) ، وقالت :

— هل سنبط بواسطة هذه ؟

أجابها القبطان :

— نعم يا سيدي .. إنها نفس الأثْمُودَج ، الذي استخدمته
ابتكما في الغوص ، ولكنني أجريت به بضع تعديلات ، فهو
— هذه المرة — مزوّد بآلات تصوير عُلوِيّة ، وجدران عاكسة
للإشعاع و

قاطعته (سلوى) في حزن :

— هيّا بنا إذن .

عقد القبطان حاجبيه في ضيق ، وهو يقول :

— لا تنسني يا سيدي أننى القبطان هنا .

غمغمت في ضجر :

— سأحاول .. والآن متى نبدأ رحلتنا ؟

ازداد انعقاد حاجبيه ضيقًا ، وهو يقول في حدة :

— على الفور .. سنفتحم الأعماق معًا .

ثم زفر في قوّة ، وهو يستطرد في خفوت :

— والله (سبحانه وتعالى) وخّده يعلم ، ما إذا كنّا

سنعود ، أم سنتجه مباشرة إلى .. إلى الجنّة .

بدا مشهد الأعماق مهيبًا ، حينما وصلت الغواصة إلى عمق
كيلومترين ، على الرغم من الأضواء المُبْهِرة ، التي أطلقتها

مصايبها ، والتي خففت كثيرًا في ظلمة الأعماق الدامسة ،
وإن لم تخف تألق تلك الكائنات الدقيقة المضيئة في الأعماق ،
وبدا السكون والهدوء غالبين تمامًا ، مما زاد من رهبة الموقف ،
ودفع الدكتور (حجازي) إلى أن يغمغم في خفوت :

— يا إلهي !!.. كم يبدو المشهد مهيبًا مخيفًا !!

قال (نور) في صرامة :

— لا تجعل هذا يخدعك يا دكتور (حجازي) ، فهذا
المشهد يخفي خلفه شيئًا رهيبًا ، انتزع منا ابتنا ورفيقنا
بلا رحمة .

غمغم القبطان :

— من العسير أن يصدق المرء ذلك .

لم يكذ يتم عبارته حتى ارتجت الغواصة في قوة ، وارتج
الأربعة داخلها ، واصطدم بعضهم ببعض ، وهتف القبطان في
ارتياح :

— ماذا يحدث ؟.. أهو إعصار مائي ؟

أشار (نور) إلى شاشة صغيرة ، وهو يقول في حزم :

— بل هجوم بحري يا سيدي .

— التصقت عيون الجميع بذلك المشهد على الشاشة ،
الذي ينقل صورة بعض المخلوقات المائية ، ذات الوجوه
الخضراء ، التي تغطيها الحراشيف اللامعة ، وتبرز منها العيون
المضيئة ، وهم يحطمون آلات التصوير على سطح الغواصة ،
وهتف (نور) :

— إلى المعركة يارفاق .. سنطلق عليهم أشعة الليزر ..
سنقاتلهم بكل ما نملك من قوى .

أعقب هتافه بتوجيه مدفع الليزر الدفاعي ، نحو أحد هذه
المخلوقات ، وضغط زر الإطلاق ، فشق خيط الأشعة
الأعماق ، وأصاب كف المخلوق ، فاندفع إلى الخلف ،
وتقلب بضع مرّات ، واختفى خارج دائرة الضوء ، على حين
شهرت المخلوقات الأخرى أسلحتها ، التي تبدو على هيئة
كرّات مستديرة لامعة ، وراحت تطلق منها أشعة مخيفة ، لم
تكذ ترتطم بجدران الغواصة المصقولة حتى انعكست في قوة ،
فهتف القبطان في حماس :

— لقد أفلحت الوسيلة .. لقد تغلبت على سلاحهم
بأبسط وسائل الدفاع الممكنة .. لقد أعدت سلاحهم إليهم ،
مع تحيأتي ..

هتف (نور) في حماس :

— هذا يمنحنا نقطة تفوق أيها القبطان ، ويعاوننا على أن

قبل أن يتم عبارته ، ارتجت الغواصة مرة أخرى في قوة ، وتأرجحت لحظة ، ثم خفقت قلوب الجميع ، حينما راح مؤشر العمق يقفز في جنون ، وأضاء في سقف الغواصة مصباح أحمر ، أخذ يضيء بضوء متقطع ، مصحوبًا بأزيز قوى ، شحب له وجه القبطان ، وهو يهتف :

— يا إلهي !!! إن الغواصة تهبط في سرعة .. إننا نتجاوز العمق المسموح به ، ولن تحمل جدران الغواصة ذلك .

غمغمت (سلوى) في ارتياح ، وقد تضاعف شحوبها ، حتى صار وجهها أشبه بوجوه الموتى :

— ربّاه !!! لقد فصلوا الكابل ، الذي يوصلنا بـ (الهوفر كرافت) ، وهذا يعني أن تواصل الغواصة هبوطها ، حتى قرار المحيط .

اختنق صوت القبطان في حلقة ، وبدا جافًا متحشرجًا ، وهو يغمغم :

— إن قرار المحيط ، في هذه المنطقة بالذات ، على عمق سبعة كيلومترات من سطح المحيط ، ولو وصلت هذه الغواصة إلى عمق ثلاثة كيلومترات ، فإنها .. فإنها عجز تمامًا عن نطق باقي العبارة ، فأضاف (نور) في شحوب :

— فإنها ستُسحق تمامًا .. وهذا ينطبق على أجسادنا أيضًا ..

ارتسمت ابتسامة ظفر ، على شفתי المخلوق البحري الرفيعتين ، وهو يتابع ذلك المشهد على شاشة راصد خاص ، وقال لـ (رمزي) ، الذي يجلس إلى جواره منهارًا :

— أرايت كم يصعب التغلب علينا في الأعماق ؟ .. لقد تصوّر رفاقك أنهم سيهزموننا ، لجرد أنهم قد صنعوا جدران غواصتهم الجديدة من مادة عاكسة مصقولة ، فلنر ماذا يفعلون مع هبوطهم إلى ذلك العمق ؟

خفق قلب (رمزي) في عنف ، واختلس نظرة مشفقة إلى حيث يرقد جسد (نشوى) ، وترقرقت في عينيه دموع حزينة على ما أصابها ، بعد أن سرى في جسدها مفعول عقار النمو ، وقال في حدة :

— إنكم بلا قلب .

هزّ المخلوق البحرى كفيه بلامبالاة ، وهو يقول :

— فليكن .. احتفظوا أنتم بالقلوب ، واتركوا لنا
كوكبكم .

هتف (رمزى) فى حق :

— أى منطق استعمارى هذا ؟ .. إنه كوكبنا ، ونحن
أصحاب الحق فى العيش على سطحه ، لا أنتم .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفתי المخلوق الرفيعتين ،
وهو يقول :

— لاحق بلا قوة أيها الأرضى .. إن شعبنا معرض للفناء ،
وأرضكم هى أمله الوحيد فى البقاء .. ووجود شعبك يعنى فناء
شعبى ، فكيف تتصور اختيارى ؟

صاح (رمزى) فى مرارة :

— ألا يوجد فى الكون كله كوكب مائى ، سوى كوكبنا ؟
أجابه المخلوق فى برود :

— بل هناك العشرات والمئات ، وكلها مأهولة
بالسكان ، فكما يعلم كلانا ، تقول القاعدة العلمية : « حيثما

وجد الماء ، وجدت الحياة » (*) .. ولكن كوكبكم هو أقربهم
إلينا ، ولا تنس أن شعبنا سيقطع سنوات ضوئية عديدة ،
ليصل إلى هنا ، ولن نجشمه أضعاف هذه المشاق ، بإرساله إلى
كوكب مائى آخر ، فى مجرة أخرى .

ثم أشار إلى الشاشة ، مستطرذاً فى لهجة أقرب إلى
الشماتة :

— انظر .. إنها نهاية رفاقك ، وإعلان قوتنا وانتصارنا .
اتسعت عينا (رمزى) فى دُعر ، وهو يتطلع على الشاشة ؛
فأمامه كانت جدران الغواصة (ق — ٣) تتشقق على عمق
ثلاثة كيلومترات ، وكانت أجساد رفاقه تستعد للانسحاق
سحقاً فى الأعماق ..



(*) قاعدة علمية صحيحة .



التصقت (سلوى) بجدران الغواصة المتشقة ، وهى تهتف فى ارتياح :
 — يا إلهى !!... إنها نهايتنا .. ونهاية (نشوى) ..

٤ — المواجهة ..

التصقت (سلوى) بجدران الغواصة المتشقة ، وهى تهتف فى ارتياح :

— يا إلهى !!... إنها نهايتنا .. ونهاية (نشوى) .

هتف القبطان فى توتر بالغ :

— من يدري ؟.. ربما كنا نعالى نفس المصير الذى أصابها .

صاحت (سلوى) فى لوعة :

— كلاً .. لا تقل ذلك .. لا تقل ذلك .

صرخ القبطان فى عصبية ، وهو يشير إلى جدران الغواصة ،

التي تصدعت تقريباً ، وبدأ الماء يندفع من شقوقها :

— وما فائدة أن أصمت أو أتكلم .. إننا على عمق ثلاثة

كيلومترات ، ولقد انقطع عنا رصيد الهواء النقى ، وانقطعت

صلتنا بكل العالم البرى .. وما أن تتشقق جدران تلك الغواصة

اللينة ، وتنهار ، حتى تتعرض أجسادنا لضغط هائل ، يساوى

ألف ضغط جوى^(*) دفعة واحدة ، وهذا يعنى أن تُسحق
أجسادنا سحاًكفا ، وتندمج خلايانا اندماجاً ، فيصير من
السهل أن يعبر جسد الواحد منا من ثقب الإبرة ، كما تقول
الأحجية العلمية الشهيرة .. وسيحدث هذا في جزء من
الثانية ، حتى أننا لن نشعر حتى بالألم .

صرخت (سلوى) ، وهى تخفى أذنيها بكفيها في انهبأر :
— كفى .. كفى .

أشار (نور) إلى المياه ، التى راحت تتدفق داخل الغواصة
فى قوة ، وقال فى مرارة :

— لا فائدة يا (سلوى) .. إنه على حق .. لقد حانت النهاية .
وصمت الجميع ، وتعلقت عيونهم فى هلع بالمياه المتدفقة ،
التى تحمل معنى واحداً ..
الموت ..

اتسعت عينا (رمزى) فى دُعر ، وهو يراقب ما يحدث على
شاشة الراصد ، مغمغماً فى ارتياح :

(*) الضغط الجوى : وزن عمود من الزئبق طوله ٧٦ سم ومساحة
قاعدته ١ سم^٢ .

— أيها الأدغاد !! .. أيتها المخلوقات المائية الحفيرة !! ..
أما يكفيكم ما فعلتموه بـ (نشوى) ؟ .. ألا يكفيكم أن أضعم
سنوات عمرها هباءً ؟

ابتسم المخلوق المائى ، الذى يقف إلى جواره فى برود ،
وقال :

— هذا جزاء كل من يفكر فى تحدينا .. سأقترب
بالراصد ، وأجعلك ترى وجوه هؤلاء ، الذين هزمناهم هذه
المرّة ، قبل أن يسحق الضغط أجسادهم تماماً .

لم يكد الراصد يقترب من نوافذ الغواصة ، وينقل صورة
وجوه من هم داخلها ، حتى اتسعت عينا (رمزى) فى شدة ،
وهتف فى ذهول :

— يا إلهى !! .. (نور) و (سلوى) ؟ !! ..

لم يصدّق عينيه فى البداية ..

لم يصدّق أن (نور) و (سلوى) قد استعادا وغيهما ..
لم يصدّق أنهما قد غادرا غيوبتهما ، ليستقبلا الموت فى
أعماق الأطلنطى ..

أذهله هذا تماماً لشوان ، ثم هتف فى انفعال :

— تباً لك أيها المخلوق البحرى الأحمق .. إنك تباهى

بانتصار سخيـف ، دون أن تدرك أن انتصارك هذا يفقدك
نصرًا أعظم .

التفت إليه المخلوق البحرى ، وقال فى حدة :
— ماذا تعنى ؟

أشار (رمزى) إلى شاشة الراصد ، وهو يهتف فى انفعال :
— هل ترى ذلك الشاب هناك ؟ .. إنه الرائد
(نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية .. وهو
الشخص الوحيد فى هذا الكون بأسره ، القادر على التحكم فى
السفينة الإمبراطورية الأرغورانية ، التى يقودها (س ١٨)
حول الأرض ، والتى منعتكم من الرحيل ، وستمنع شعبكم
من الوصول إلى الأرض لأجيال .. إنك بقتله تفقد الأمل
الوحيد فى نجدة شعبك .

تردد المخلوق البحرى لحظات ، قبل أن يغمغم فى توثر :
— أنت كاذب مراوغ .

صاح (رمزى) :
— وأنت غبى أحمق .. ماذا يضريك لو صدقتنى هذه المرة ؟
تردد المخلوق لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :
— نعم .. ماذا يضيرنا ؟

ثم تناول كرة صغيرة من شاشة الراصد ، وصاح فيها بعدة
كلمات ، ذات إيقاع خشن جاف ، قبل أن يعيدها إلى
الراصد ، ويستدير إلى (رمزى) ، قائلاً فى صرامة شديدة :
— سننقد رفاقك ، ولكن حذار أن تكون كاذبًا .

واكتسى صوته بنبرة مخيفة ، وهو يستطرد بصوته الخشن :
— عندئذ ستلقون جميعًا مصيرًا أبشع من الموت .. أبشع
منه كثيرًا .

احتقن وجه الدكتور (حجازى) ، وراح يسعل فى قوة ،
وهو يتطلع إلى المياه المتدفقة ، هاتفًا فى صوت متحشرج
مختق :

— إنها النهاية ولا ريب .. إن مستوى الأكسوجين ينخفض
كثيرًا ، والماء يتدفق فى شدة .. وداعًا يا رفاق .. لقد حاولنا ..
أليس كذلك ؟

هتف القبطان فى مرارة وسخط :

— بللى .. لقد حاولنا وفشلنا .

ثم عقد حاجبيه فى دهشة ، وهو يتطلع إلى مؤشر العمق ،
وهتف :

— عجباً!!... إنا نرتفع !

هتف (نور) في دهشة ، وقد بدأت أنفاسه تضيق ، من
نقص الأكسجين :

— نرتفع؟!... لماذا؟!!

كانت مصابيح الغواصة قد انطفأت ، مع انقطاع الكابل
الذى يوصلها بـ (الهوفر كرافت) ، والذى كان يحوى كل
الأسلاك والتوصيلات ، وساد الظلام الدامس .. ولكن
فجأة ، غمر المكان ضوء مُبهر ، جعل أنظار الجميع تتجه نحو
نوافذ الغواصة ، حيث شهبوا في انبهار ودهشة ، ونسوا
رُغبتهم وخوفهم ، وحتى نقص الأكسجين ، أمام أكثر مشاهد
حياتهم عجباً!...

لقد كانت الغواصة الصغيرة تتجه نحو سفينة فضائية
عملاقة ، استقرت ثابتة وسط المياه العميقة ، وفي جانبها فجوة
ضخمة ، تتألق بالأضواء ، وتقود إلى ممر مصقول لامع ..
وفي انسيابية تبعث الرُعب في القلوب ، انزلقت الغواصة
الصغيرة داخل الممر اللامع ، الذى تألقت الأضواء على
جانيه ، وغمرته المياه تماماً ، واندفعت عبْرَه في خط مستقيم ،
وكأنها تقودها قوّة مجهولة ، حتى انحرفت داخل قاعة جانبية
واسعة ، أغلقت خلفها تماماً ، وبدأت المياه تنحسر منها تدريجياً

في ببطء ، فغمغم (نور) في دهشة :

— أظن أن مشكلة نقص الأكسجين ، وزيادة الضغط قد
انتهت يا رفاق .

تعلق بصر القبطان بمؤشرات الغواصة ، وهو يغمغم :
— هذا صحيح .. إن معدّل الأكسجين يرتفع ، ومعدّل
الضغط ينخفض ، ولن تمضى لحظات حتى يصير الأمر كما
لو كنا قد صعدنا إلى السطح .

مضت تلك اللحظات في سرعة ، وخلت القاعة من المياه
تماماً ، وأحاط عدد كبير من تلك المخلوقات بالغواصة ،
وتقدّمهم ذلك المخلوق ، الذى يجيد العربية ، وقال بصوته
الحشن الجاف ، عبّر مكبرات صوت خاصّة :

— انتهى الأمر أيها الأرضيون .. غادروا غواصتكم ،
واستسلموا .

سأل الدكتور (حجازى) (نور) في انفعال :

— هل نستسلم لتلك المخلوقات يا (نور) ؟

مطّ (نور) شفّتيه ، وهو يقول :

— وهل نملك غير ذلك ؟

ثم ضغط الزرّ ، الذى يفتح باب الغواصة ، وغادرها في
هدوء ، وتبعته (سلوى) ، ثم الدكتور (حجازى) ،

فالقبطان ، ووقف الجميع في مواجهة المخلوقات البحرية ،
وقال (نور) في نبرات قوية :

— أنا الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية
المصرية و

قاطع المخلوق البحرى ، قائلاً في سخرية :

— وهذه زوجتك (سلوى) ، وهذا هو الدكتور (محمد
حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين المصريين ، والآخر هو
قبطان (الهوفر كرافت) .. إننا نعلم كل هذا .

اتسعت عيون القبطان ، والدكتور (حجازى) ،
(سلوى) في ذهول ، على حين عقد (نور) حاجبيه ، وهو
يقول في هدوء :

— رائع .. إنك تطمئننى كثيراً ، فإجادتك للغتنا العربية ،
ومعرفتك لنا ، يؤكدان أن ابتنا ورفاقنا على قيد الحياة هنا ..
أليس كذلك ؟

أجابه المخلوق في برود :

— بلى .

وصمت لحظة ، قبل أن يستدرك في لهجة أقرب إلى
السخرية :

— إن ثلاثهم على قيد الحياة ، بصورة أو بأخرى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله :

— ماذا تغنى ؟

اختلج قلب (سلوى) في جزع ، حينما سمعته يجيب :

— إن رفيقكم الأرضى (رمزى) على مايرام ، كما رأيتموه
آخر مرة ، ونحن نعالج رفيقكم (محمود) من صدمة عصبية
وجسدية تعرض لها ، وهو يتماثل للشفاء في سرعة .. أما عن
ابنتكما

صمت دفعة واحدة ، فهتفت به (سلوى) في ارتياح :

— ماذا أصاب ابتنا ؟ .. ماذا فعلتم بـ (نشوى) ؟

حمل صوت المخلوق رنة ساخرة ، وهو يقول :

— إنها على قيد الحياة ، ولكنها لم تعد كما كانت .. لقد
أجرينا عليها إحدى تجاربنا و

لم يتم المخلوق عبارته ..

لم يتمها ؛ لأن غضباً هائلاً تفجّر في أعماق (نور) ..
غضباً عاصفاً عنيفاً ..

غضباً دفعه إلى أن ينتزع مسدسه الليزرى ، ويقفز نحو
المخلوق البحرى ، فيحيط عنقه بذراعه ، صارخاً :

— فلتدفع الثمن إذن أيها الحقير ..

واندلع الجحيم ، في أعماق الأطلنطى ..

٥ - جحيم المحيط ..

من المؤكّد أن تلك المخلوقات البحرية تمتلك سرعة استجابة جيّدة ..

ومن المؤكّد أيضًا أنها لا تمتلك قلبًا ..

فلم يكّد (نور) يحيط عنق قائدها بساعده ، حتى شهرت المخلوقات الباقية كُراتها اللامعة في وجه (نور) وانطلقت عشرات من خيوط الأشعة القاتلة نحوه ..

واحتّمى (نور) بجسد المخلوق البحرى ، وهو يطلق أشعة مسدّسه الليزرى نحو أحد المخلوقات الأخرى ، إلّا أنه لم يلبث أن أدرك عدم جدوى مبادرته ، حينما أصابت المخلوقات زميلها بأشعتها ، فأردته قتيلاً في لامبالاة ، وهى تستهدف القضاء على (نور) ..

وأطلقت (سلوى) صرخة دُغر وهلّع ..

صرخة زوجة تخشى أن تفقد زوجها ، بعد أن فقدت ابنتها .. ومع صرختها تفجّرت ينابيع الغضب والعناد في نفس



ويقفز نحو المخلوق البحرى ، فيحيط عنقه بذراعه ، صارخا :
— فلتدفع الثمن إذن أيها الحقير ..

(نور) ، فراح يطلق أشعته الليزرية نحو رؤوس المخلوقات في مهارة وإتقان ، وسرعان ما انتزع قبطان (الهوفر كرافت) مسدسه الليزري بدوره ، وهو يهتف :

— اثنان أفضل من واحد بالتأكيد .. أليس كذلك ؟

وتراجعت المخلوقات البحرية إزاء المهارة القتالية المرتفعة لبطلينا ، وهتف أحد تلك المخلوقات بعبارة ما ، تحمل لغة قومه ، ذات الإيقاع الخشن الجاف ، فتراجعت كل المخلوقات في سرعة ، ولم تلبث القاعة أن حلت من الجميع ، فيما عدا (نور) ورفاقه ، فهتف القبطان في ظفر :

— لقد انتصرنا .. لقد أجبرناهم على التراجع .

هتف به (نور) :

— لا تجعل ظواهر الأمور تخدعك يا سيدي القبطان ، فهذا التراجع قد يعنى مزيداً من الخطورة ، ولو صدق ما أظنه ، فينبغي أن نسرع جميعاً بالعودة إلى غواصتنا .

سأله الدكتور (حجازي) في توثر ، وهم يسرعون جميعاً

نحو الغواصة :

— ماذا تظنهم سيفعلون ؟

أجابه (نور) في قلق :

— لو أننى في مكانهم ، فمن الطبيعي أن استغل ما أتميز به ، ألا وهو قدرتي على تحمل الضغط والبقاء في الماء .

هتفت (سلوى) في دُعر :

— يا إلهي !!... هل تظنهم ؟.....؟

قبل أن تُتمَّ عبارتها ، جاءها الجواب على هيئة فيض من الماء ، تدفق داخل القاعة ، من الحواف السفلى لجدرانها ، فأتسعت عيناها في دُعر ، وهتف القبطان :

— يا إلهي !!... إن هذا يُعيدنا إلى بدايات الأمور .

صاح (نور) ، وهو يدفع (سلوى) داخل الغواصة :

— وإلى صراعنا من أجل البقاء .

دلف الأربعة داخل الغواصة ، وأحكموا إغلاقها خلفهم بقدر الإمكان ، ووقفوا يراقبون ارتفاع منسوب الماء داخل القاعة ، غُبر نوافذ الغواصة ، وغمغمت (سلوى) في توثر :

— ثرى كم سنحتمل بدون أكسوجين ؟

تمتم (نور) في قلق :

— ما لا يزيد على عشر دقائق .

شحب وجهها ، وهي تتمتم :

— وبعدها نلحق بـ (نشوى) ، في العالم الآخر .

هتف الدكتور (حجازى) :

— إن (نشوى) لم تمت يا (سلوى) .. لقد قال ذلك المخلوق إنها على قيد الحياة ، ولكنها لم تُعد كما كانت ، ونحن لا ندرك بعد ما الذى يَغْنِيهِ بذلك !؟

أخفت وجهها بكفِّها ، وبكت ، وهى تقول فى مرارة :
— ربَّما يقصد أنها قد تشوَّهت .

غمغم الدكتور (حجازى) فى شرود :

— أو صارت مثلهم .

هتف القبطان فى حِدَّة :

— أليس من الأفضل أن نؤجِّل ذلك الحديث لما بعد ؟ ..
لقد غمرت المياه القاعة تمامًا ، ومؤشر الضغط يشير إلى أننا نتعرَّض لنفس الضغط الذى تتعرَّض له الغواصة على عمق كيلومتر ونصف ، تحت مستوى سطح المحيط .

تعلَّقت عيون الجميع بمؤشر الضغط ، الذى راح يتحرَّك فى ببطء ، مشيرًا إلى أن الضغط الواقع على الغواصة صار يساوى غوصها لعمق كيلومترين ..

ثلاثة كيلومترات ..

واتسعت تصدُّعات جدران الغواصة ، وعادت المياه تتدفَّق من شقوقها إلى الداخل ، وهتف القبطان فى حَنَق :
— ستتهار الجدران بعد قليل .. إنها لن تحمل طويلاً .. لقد انتصر علينا هؤلاء الأوغاد ..

لم يكذِّبتم عبارته ، حتى اندفعت المياه داخل الغواصة فى عُنف ، وصرخت (سلوى) فى رُغب :
— إنها النهاية .

هتف (نور) ، وهو يشعر بضغط هائل على أذنيه :

— قاومى يا (سلوى) .. قاوموا جميعًا ..

ولكنه عجز — هو نفسه — عن اتباع نصيحته ، ومادت به الأرض ، وأظلمت الدنيا أمام عينه ، وسمع زوجته تصرخ ، ثم غرق فى ظلام دامس ..

ظلام غيبوبة أخرى ..

أو ظلام الموت ..

٦ - لقاء مذهل ..

أغلق (رمزي) عينيه في ألم ومرارة ، وأسند جبهته إلى راحتيه ،
وقد انتابه دُوار مفرز ، بعدما رأى كل ما حدث على شاشة
الراصد ، قبل أن تختفى الصورة تمامًا ، وجاهد ليمنع دمعين
حزنتين من الانهمار على وجنتيه ، بعد أن رأى بعينه نهاية
رفاقه ، وراح يغمغم في لوعة :

— لماذا ؟ .. لماذا يا إلهي ؟! .. لماذا استيقظا من غيوبتهما ؛
ليلقيا حفتها هنا ؟ .. لماذا ؟ .. حقًا .. لا تعلم نفس بأى أرض
تموت .

جاء من خلفه صوت خشن جاف ، يقول :

— اطمئن .. إنهم جميعًا على قيد الحياة .. لقد أفقدناهم
وغيهم فحسب .

التفت (رمزي) إلى مصدر الصوت في دهشة ، وهتف :
— أنت ؟! .. عجبًا !! .. لقد شاهدت رفاقك يطلقون أشعّتهم
عليك ، في محاولة للنيل من (نور) ، حينما كان يحتمى بجسدك .

أجابه المخلوق في برود :

— لم يكن أنا .. إنه (بروشار) المسكين ، الذى لقي حتفه
بسبب رفاقك .. ولكنها ملحوظة هامة ، فهي تغنى أنكم
ترونا جميعًا متشابهين .

غمغم (رمزي) في شك :
— ولكنك تتحدث لغتنا على نحو جيّد ، على حين قال
(بروشار) أنه وحده يجيد لغتنا .
أجاب المخلوق في هدوء :

— بل قال إننا لم نجد لها مثله بعد .. ولقد فعلنا .
تطلّع إليه (رمزي) لحظات في خيرة ، ثم قال في حدة :
— ماذا تنوون أن تفعلوا برفاقي ؟
صمت المخلوق لحظة ، ثم قال :

— ليس هذا من شأنك .
ثم ارتسم على شفّتيه شبح ابتسامة ، وهو يستطرد :
— ولكن ثِقْ أننا سنذهلهم .. سنذهلهم تمامًا ..

سبحت (سلوى) في ظلام غيوبتها العميقة طويلًا ،
وبدا لها جسدها ، وكأنها يعوم في منطقة انعدام وزن ، وقد

تلاشت كل آلامه ، وضاعت ماديته ، ثم بدأ شعورها بجسدها
ينمو تدريجيًا ، وراحت أحاسيسها تعود إليها رويدًا رويدًا ،
وشعرت بأصابع رقيقة تتحسس وجنتها ، فغمغمت في وهن :

— (نشوى) .. ابنتى !!.. أهو أنت ؟

جاءها صوت مألوف يقول في حنان وخفوت :

— نعم يا أمّاه .. إنه أنا .

كان الصوت يشبه كثيرًا صوت ابنتها ، إلا أن نبراته كانت
تختلف ..

كانت أكثر رقة وأنوثة ، ونضجًا ..

وفي أعماق أعماق (سلوى) ، تصاعدت سحابة قلق ..
سحابة ارتفعت إلى قلبها ، فخفق في قوة ، وظلّ يخفق مع
تصاعد السحابة إلى عقلها ، الذى ارتجف لحظة ، ثم ألقى كل
أوامره إلى جسدها ، فانتفضت أطرافها ، وفتحت عينيها في
بطء ..

في البداية بدت لها الصورة مهتزة ..

ثم أخذت تتضح في بطء ..

وأطلّ من عيني (سلوى) نهر من الخيرة والتساؤل ،
وهي تحدّق في وجه تلك التى تنحنى نحوها ..

لم تكن ابنتها ..

لم تكن هى بالتأكيد ..

صحيح أنها تشبهها كثيرًا ..

ولكنها ليست هى ..

الأخرى أصغر سنًا ..

أصغر بكثير ..

وفي مزيج من التوتر والقلق والخيرة ، غمغمت (سلوى) :

— أين (نشوى) ؟ .. أين ابنتى ؟

ترقرقت دمعة ، في عيني تلك التى تنحنى نحوها ، ثم لم
تلبث أن سالت حارة على وجنتيها ، وناfst حرارة ذلك
الصوت الحزين الخافت ، الذى تصاعد من بين الشفتين ،
قائلًا :

— هأنذا يا أمّى .. أنا (نشوى) .

اتسعت عينا (سلوى) في دُغر وذهول ، وتراجعت
كالمصعوقة ، وهى تهتف :

— أنت ؟!

انهمرت الدموع من عين (نشوى) في غزارة ، واحتضنت
كفّ أمها في ألم ، وهى تهتف :

— نعم يا أمّاه .. إنه أنا .. أعلم أنك قد تركتني منذ عام
واحد مجرّد طفلة في العاشرة من عمرها ، وكان ينبغي أن
تجدينى الآن في الحادية عشرة ، إلّا أننى ضحيّة تجربة شيطانية
يا أمّاه .. تجربة انتزعت منى سنوات طفولتى ، وقفزت بزمنى
وغموى إلى الأمام ، متحدية قوانين الثمور والنضج .. إنه أنا
يا أمّاه .. أنا ابنتك ..

ظلت (سلوى) لحظات تحدّق في وجهها بذهول ..
كان حقاً لقاءً مذهلاً ..
إن (نشوى) لم تعد (نشوى) ..
لم تعد تلك الصغيرة ..
وبأصابع مرتجفة ، ودهشة عارمة ، امتدت يد (سلوى)
نحو ابنتها ..
وبكل حبّ الدنيا ، وحنان الأمومة ، تحسّست شعرها
الأسود الناعم ، المنسدل على كتفها ..
لم تكن تلك التى تنحنى نحوها طفلة في العاشرة ..
كانت شابة فاتنة ..
شابة في العشرين من عمرها تقريباً ..
سوداء العينين ، طويلة الرمشين ، ناعمة الشعر ، وردية
البشرة ، ناضجة الشفتين ..



— هأنذا يا أمّى .. أنا (نشوى) ..
اتسعت عينا (سلوى) في دُعر وذهول ، وترجعت كالمصعوقة ..

شابة من أجهل فتيات القرن الحادى والعشرين ..
كانت أجهل صورة يمكن أن تتخيلها (سلوى) لابتها ..
وسالت دموع (سلوى) ..
وانهمرت دموع (نشوى) ..
وامتزج الدمعان ..
امتزجا مع خفقان قلبين ، وخيرة عقلين ..
ثم ذابت كل منهما بين ذراعى الأخرى ..
لقاء مذهل عجيب ..

لقاء أم وابنتها ، صارتا أقرب إلى صديقتين ..
وأمسكت (سلوى) كفى ابنتها ، وأبعدتها عن صدرها
قليلاً ، وملأت عينيها بجمالها فى حنان ، وهى تغمغم :
— (نشوى) .. لقد صرت فاتنة .
مسحت (نشوى) دموعها ، وابتسمت فى حزن ، وهى
تتمم :

— وأنت استعدت وعيك يا أمّاه .

غمغمت (سلوى) :

— أبوك أيضاً استعاد وعيه يا (نشوى) .
أومأت (نشوى) برأسها إيجاباً ، وقالت :

— أعلم يا أمى .. لقد التقيت به ، قبل استعادتك وعيك ،
وقبل أن يأخذوه .
حدقت (سلوى) فى وجهها بدهشة ، قبل أن تسألها فى
توتر :

— من هؤلاء ؟ .. من هؤلاء الذين أخذوه ؟
ارتجفت شفتا (نشوى) فى غضب ، وهى تقول :
— السّادة .. (سادة الأعماق) ..

دفع اثنان من المخلوقات البحرية (نور) ، داخل حجرة
دائرية صغيرة ، يقف داخلها مخلوق ثالث ، يرتدى زياً
مخالفاً ، ويؤلى (نور) ظهره ، وهو يتطلّع إلى شاشة رصد
كبيرة فى اهتمام ، وأغلق المخلوقان الباب ، فاعتدل (نور) ،
وقال فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— حسناً .. أهو لقاء خاص ؟

أجابه المخلوق ، دون أن يلتفت إليه :

— شىء من هذا القبيل .

سأله (نور) فى صرامة :

— وما الغرض من ذلك اللقاء الخاص يا ترى ؟



أدار (نور) عينيه إلى شاشة الراصد ، والتقى حاجباه ، وهو يتطلع إلى تلك الصورة التي تنقلها ..

أشار المخلوق إلى شاشة الراصد ، وقال في هدوء :
— هذا .

أدار (نور) عينيه إلى شاشة الراصد ، والتقى حاجباه ، وهو يتطلع إلى تلك الصورة التي تنقلها ..
صورة سفينة الفضاء الإمبراطورية الأرغورانية ، التي يقودها (س ١٨) في مدار حول الأرض ..
وزان الصمت طويلاً على تلك الحجرة الدائرية الصغيرة ، قبل أن يقول (نور) في خشونة :
— ما الذي تريده بالضبط ؟

قال المخلوق في برود ، دون أن يرفع عينيه عن الشاشة :
— كيف يمكن القضاء على ذلك الشيء ؟
ابتسم (نور) في سخرية ، وهو يقول :
— عجباً !!!.. إنك لا تبدو لي أبلاًه .

سأله المخلوق في هدوء :
— ماذا تُغني ؟

هتف (نور) متهمكماً :
— لا أظنك تتوقع مني أن أخبرك بكل بساطة ، بوسيلة القضاء على أعظم سلاح دفاعي على سطح كوكبنا .

التفت إليه المخلوق لأول مرة ، وخذجه بنظرة صارمة ،
وهو يقول :

— إننا لم نتوقع أن تفعل ذلك بكل بساطة بالطبع .
ثم عقد كفيه خلف ظهره ، مستطرذا :

— لقد رأيت ابتك بالتأكيد .. أليس كذلك ؟
أجابه (نور) في حدة :

— بلى .. ولقد رأيت كيف أجريتم تجاربكم الحقيرة
عليها .

مط المخلوق شففيه الرفيعتين ، وقال :

— إنها لم تتناول سوى نقطة واحدة من عقارنا .. ولتعلم
أنها ثالث تجربة فعلية لنا ، فلقد أعطينا أحد الطفلين المرافقين لها
خمسة ستيمترات من العقار ، فتحول إلى مخلوق بشع ، يناهز
المائتين من العمر تقريباً ، وسقط جثة هامدة على الفور ،
وأعطينا الثاني ثلاث نقاط فحسب ، فتحول إلى عجوز يقارب
المائة ، وهما هو ذا يحتضر ، وعندما أعطينا ابتك نقطة واحدة ،
قفز بها العمر عشر سنوات فحسب .

ازداد انعقاد حاجبي (نور) ، وهو يقول في صرامة :
— أتهددني بإعطائها جرعة إضافية ؟

هز المخلوق كتفيه ، وهو يقول :
— إنها فكرة لا بأس بها .

أجابه (نور) في حزم غاضب :

— افعل إذن .. اقتلنا كلنا لو أردت ، ولكنني لن أضحي
بالأرض بهذه البساطة .

بدا وكأن إجابته قد أدهشت المخلوق ، الذي تطلع إليه
طويلاً في صمت ، قبل أن يقول :

— أهذا هو قرارك النهائي ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وهو يقول في لهجة حاسمة ،
لا تقبل النقاش :

— نعم .. فمصرعنا جميعاً قد يعني نجاة كوكب الأرض
بأكمله ، على حين أن نجاتنا الحالية ، ستعني بالتأكيد نهاية
كوكب الأرض ، ونهايتنا ضمناً ، وهكذا تجد أن نهايتنا واحدة
في الحالتين ، على حين تختلف نهاية كوكب الأرض تماماً .

قال المخلوق في غضب :

— ومن قال إن إصرارك على الرفض سيغير مصير كوكب
الأرض ؟

ثم اتجه نحو مجموعة من الأزرار ، وهو يستطرد في حدة :

— سأثبت لك العكس تمامًا ، سألقى أطنائًا من العقار في المحيط ، وأدفعها إلى التبخر في سرعة ، لتختلط بالسحب ، وتسقط مع الأمطار في مياه الأنهار ، وستحوّل سكان كوكب الأرض بعد يومين على الأكثر إلى كهول وعجائز وموتى و.... عقد (نور) حاجيه ، وهو يستمع إليه في اهتمام ، ثم لم يلبث أن ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— لا بأس .. افعل .

حدّق المخلوق في وجهه بدهشة ، ثم هتف في حنق :

— إنك تبجح فحسب .. أعلم إذن أنه بضغطه واحدة على ذلك الزرّ الأحمر ، تبدأ عملية النمو الشيطاني لسكان كوكب الأرض ..

اتجه (نور) نحو الأزرار في حزم ، وهو يقاطعه قائلًا في سخرية :

— لم الانتظار إذن ؟ .. دَعْنَا نبدأ الآن .

وقبل أن يدرك المخلوق ما يقصده (نور) ، كان الأخير قد ضغط الزرّ الأحمر ، وأطلق أطنائًا من عقار النمو الشيطاني في أعماق المحيط ..

وبدأت نهاية كوكب الأرض ..

www.dvd4arab.com

٧ — انفجار ..

لم يستطع ذلك المخلوق المائي إخفاء ذهوله ، وهو يتطلّع إلى (نور) ، هاتفاً :

— هل تدرك ماذا فعلت بكوكبك وقومك ؟! .. لقد أطلقت أطنائًا من عقار النمو في المحيط ، وهذه الأطنان معالجة بوسيلة خاصة ، بحيث أنها ستبخر فور وصولها إلى السطح ، وتتصاعد على هيئة سحب كثيفة ، و قاطعه (نور) في ضجر :

— وتمطر وسط مياه الأنهار .. نعم .. لقد سمعت ذلك من قبل .

اعتدل المخلوق في صرامة ، وقال :

— لا بأس .. أنت ستسبب في نهاية كوكبك بعنادك هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول ساخرًا :

— لا ضرر مع بعض التغيير ، للتغلب على رتابة الحياة .. بدا المخلوق شديد الغضب والعصيّة ، وهو يقول :

— حسناً أيها المتبجح العنيد .. سأمنحك فرصة أخرى
نادرة .. سأجعلك تشاهد بنفسك الخطوات الأولى للنهاية ..
نهاية كوكبك .

وبضغطة على زر آخر ، بدأت شاشة الراصد تنقل مشهداً
لسطح المحيط ..

وراح (نور) يشاهد البداية ..

بداية النهاية ..

كان كل شيء يسير في هدوء وانتظام على سطح المحيط ..

الحوامات الجوئبرمائية تواصل رحلاتها بين القارات ..

الجزر الصناعية السياحية تسبح برشاقة راقصات الباليه ..

الطوافات النفّاثة تحلق في نعومة ..

وفجأة .. حدثت الكارثة ..

انقلب فجأة سطح المحيط ، وبدا وكأنه يغلي بفقاعات

ضخمة مخيفة ، فراقصت الجُزُر السياحية الصناعية في قوّة ،

وارتفعت الأمواج في عنف ..

ثم حدث الانفجار ..

انفجار رهيب يصم الآذان ، دوى حينما لامست أطنان
العقار الشيطاني سطح المحيط ، ثم تحوّلت فجأة إلى غارات
رهية ..

سحب هائلة تصاعدت من سطح المحيط ، ودفعت
الحوامات الجوئبرمائية إلى أعلى ، ثم قلبتها رأساً على عقب ،
وحطمتها ، ودمّرتها وأسقطت الطوافات النفّاثة ، وأغرقت
الجزر السياحية الصناعية ..

والتهب المحيط ..

التهب بسحب عقار شيطاني رهيب ، يحمل موتاً جهنمياً
لكل سكّان كوكب الأرض ، تصاعدت إلى السماء ،
وحجبت الشمس بسحب قاتلة كثيفة ..

وارتجّ العالم كله بالخبر ..

خبر الكارثة المخيفة ..

خبر المحيط الملتهب ..

وعلى الرغم من أن كل الأقمار الصناعية قد صوّرت
الحادث ..

وعلى الرغم من أن العالم كله قد رآها ..

إلا أن أحداً لم يدرك مدى خطورتها ..

أحدًا لم يتصوّر أنها بداية شيطانية جهنمية مخيفة ..
وفجأة .. حدث ما لم يتصوّره أحد ..
ما لم يتخيّل أحد حدوثه ..
حتى (سادة الأعماق) ..
لقد اندفعت السُّحب كلها نحو بؤرة واحدة ، في منتصف
المحيط تقريبًا ..

ثم تصاعدت إلى أعلى ..
إلى الفضاء ..
إلى العدم ..
وانتهت الكارثة بغتة ..
انتهت على نحو مُذهل ..
ولكن كيف ؟ ! ..
كيف ؟ ! ..

اتسعت عينا المخلوق المائي في ذُهور واستنكار ، وهو
يحدّق في شاشة الراصد ، واختلط ذهوله واستنكاره بغضب
هائل ، حينما شقّت ضحكة (نور) الساخرة المكان ، فالتفت
إليه المخلوق صارخًا في ثورة :

— لماذا تضحك ؟ .. ماذا حدث ؟

واصل (نور) ضحكته لحظات ، قبل أن يجيب في سخرية :
— كم أنتم بلهاء يا أوغاد الأعماق .. إنكم لم تحسنوا تقدير
قوّتكم ، ولا تقدير قوّة خصومكم .. إن هذه السفينة
الفضائية تعود إلى كوكب محارب ، كان يومًا أقوى كواكب
هذا الكون ، وأكثرها شراسة ، ألا وهو كوكب (أرغوران) ..
ولقد فزنا بهذه السفينة كغنيمة حرب ، بعد أن هزمنا ذلك
الكوكب المحارب الشرس بمعجزة (*) ، ويقودها ملاح آلي
رائع ، هو فخر حضارة رائعة ، سادت كوكبنا منذ ملايين
السّنين (**) ، ومهمّة الملاح والسفينة هي حماية كوكبنا من أيّ
غزو خارجيّ ، ومنع الكوارث والحروب الداخلية على
سطحه .. ولقد تصوّرتم أن مهمتنا تقتصر على صدّ الصواريخ ،
والقنابل والأشعة القاتلة فحسب ، ولكنكم كنتم على خطأ ،
فإحدى وسائل الحروب ، التي يواجهها (س ١٨) وسفينة ،
هي الحرب الكيميائية ، وإحدى مهامه هي تحليل المناخ

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

(**) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

والسُّحب طيلة الوقت ، واتخاذ كل الوسائل الممكنة لمحاربة
وتغيير أى تحوُّر يصيبها .. ولقد كشف (س ١٨) أن هذه
السُّحب ليست عاديةً ، وأنها تحمل عقَّارًا غير تقليدى ،
فتحرَّكت وسائله الدفاعية على الفور ، وسحب الغيوم القاتلة
كلها ، وبدَّدها فى الفضاء .. وهكذا لم تعد لأساليكم القتالية
فاعليتها أيُّها السادة .

وأعقب قوله بضحكة أخرى ساخرة ، جعلت المخلوق
المائى يستشيط غضبًا ، وهو يقول فى خنق :
— أيسعدك هذا إلى ذلك الحد ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :
— بالتأكيد .

صاح المخلوق فى غضب :

— سأعمل على محو سعادتك إذن .

ثم استدار إلى شاشة الراصد ، وضغط زرًّا آخر ، فنقلت
إليه الشاشة صورة (نشوى) و (سلوى) ، وهما يجلسان
داخل حجرة صغيرة ، وعقد (نور) حاجبيه فى توثر ، وقفز
القلق من أعماقه إلى ملامحه ، حينما ألقى المخلوق عبارة غاضبة ،
بصوته الخشن ، ولهجته الجافة ، وقال (نور) فى عصيَّة :

— ما الذى تُنوى أن تفعله ؟

أجابه المخلوق فى عناد :

— سأجبرك على فعل ما أريد .

قفز توثر (نور) إلى ذرَّوته ، حينما رأى ثلاثة من تلك
المخلوقات ، على شاشة الراصد ، يقتحمون حجرة (سلوى)
و (نشوى) ، ويتزعجون تلك الأخيرة من بين ذراعى أمها
الملتاعة فى قسوة ، فغمغم فى غضب :

— كلاً .. إنك لن تسيء إليها مرَّة أخرى .. يكفى
ما سرقتموه من عمرها .

ثم انقضَّ على المخلوق المائى ، وتحولت غمغمته إلى صرخة
ثائرة ، مُفعمة بالصرامة والصلابة والعناد ، وهو يستطرد :

— لن أسمح بذلك .

واشتبك البرُّ مع البحر ..



٨ - القتال ..

تعلّقت عينا القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ،
بذلك المشهد الهولوجرافي المجسّم ، الذى صوّرتة الأقمار
الصناعية ، لكارثة المحيط الأطلنطى ، وأذناه تتابعان حديث
الدكتور (عبد الله) مدير مركز الأبحاث التابع للإدارة ، وهو
يقول :

— لقد حطّمت تلك الظاهرة الكارثة ما يقرب من مائة
(هوفر كرافت) ، تابعة لعشرات الدول ، ونصف هذا العدد
تقريبًا من الطوّافات النفّاثة ، وربعه من الجزر الصناعية
السّياحية ، وتقدر الخسائر مبدئيًا بمائتى مليار من العملات
الدولية و.....

قاطعہ القائد الأعلى :

— دَعَكَ من الخسائر .. ألم يعم كشف سرّ تلك السّحب
الهائلة بعد ؟

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه نفياً ، وأجاب :

— ليس بعد .. ولكننا قمنا بعمل تحليل طيفى للسحب ،
عن طريق الصور الهولوجرافية ، التى التقطتها لها أقمارنا ، قبل
أن تمتصّها السفينة الأرغورانية ، وتبدّدھا فى الفضاء .. وهذا
التحليل يؤكّد أن السّحب لم تكن مجرد بخار ماء ، وإنما هي مادّة
عجيبة ، لم نتوصّل لتركيبها الكامل بعد ، ولكنها تحوى بعض
أبخرة الزئبق ، ومواد أخرى غازيّة ..

تنهد القائد الأعلى فى عمق ، وقال فى توتّر :

— أراهن أن لهذه الظاهرة علاقة بغوّص (نور)

و (سلوى) فى الأعماق .

مطّ الدكتور (عبد الله) شفّيته ، وهو يقول :

— لست أشكّ فى ذلك .

عاد القائد الأعلى يتهدّ فى عمق ، ثم قال :

— أظن أنه من الضرورى أن نرسل قواتنا هناك .

عقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، وهو يقول فى قلق :

— أتقصد فى عمق الأطلنطى ياسيّدى ؟!

أوماً القائد الأعلى برأسه إيجاباً ، فاعتدل الدكتور

(عبد الله) ، وهو يقول :

— ألا تخشى أن يؤدى ذلك إلى توثر دولى يا سيدى ١٩ .
أغنى أن إرسال قواتنا إلى هناك قد

قاطع القائد الأعلى بإشارة حازمة من يده ، وهو يقول :

— إنها مياه دولية يا دكتور (عبد الله) ، ومن حق أية

• • دولة أن ترسل قواتها إلى هناك .

ثم ابتسم ، وهو يضيف ، مشيرًا بسبّابه إلى أعلى :

— ثم إن (س ١٨) هناك ، يعمل على منع الحروب ..

أليس كذلك ؟

كان هجوم (نور) مباغتًا ، إلى الحد الذى فجر دُغْر
المخلوق ودهشته ، وأعجزه عن صدّ لكمة (نور) الأولى ،
التي أصابت فكّه ، وألقته بعيدًا ..

ثم تغلب المخلوق على دهشته بسرعة مثالية ، وقفز واقفًا على
قدميه ، وألقى عبارة غامضة ، بصوته الخشن ولغته الجافّة ،
قبل أن يُردف بالعربية :

— إنك تخاطر بحياتك وحياة أسرتك ورفاقك أيها الرائد .

هتف (نور) ، وهو يوجّه إليه لكمة أخرى :

— بل بحياتك أنت أيها الوغد .

هوت اللكمة على فكّ المخلوق ، بكل ما يملك (نور) من
قوة ، إلا أن المخلوق المائى ، القادم من الفضاء ، لم يتحرك قيدَ
أنملة ، بل ازدادت عيناه المضيئتان لمعانًا ، وارتسمت على
شفتيه شبه ابتسامة ، بدت متناقضة في شدّة مع دهشة (نور)
البالغة ، وهو يغمغم :

— يا إلهى !! .. كأننى قد لكمت حائطًا من الصلب !

أجابه المخلوق فى سخرية :

— بل أكثر صلابة أيها الرائد الأرضى .. إن أجسادنا تشبه

أجسادكم فى التكوين العام ، فيما عدا أننا نملك خياشيم خلف
الأذنين ، بدلًا من ذلك البروز فوق أفواهكم ، الذى تطلقون
عليه اسم الأنف .. وأن أجسادنا مغطاة بالحراشيف ، وعيوننا
تملك القدرة على الرؤية فى الظلام و

اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يضيف :

— وقدرة خاصة على تقوية سطوحنا الخارجية ، لتحتمل

الضغوط المختلفة ، وقوة ضربتك لن تبلغ أبدًا قدرة أجسادنا
على احتمال الضغوط .

التقى حاجبا (نور) ، وتألّق العناد فى عينيه لحظة ، ثم لم

يلبث جسده أن استرخى ، وهو يقول فى استسلام مفاجئ :



لقد هَوّت لكمة (نور) على فكّ المخلوق ، وبدت كقنبلة ،
إلى الخلف ، وتضربه في جدار الحجرة ..

— لا سبيل لهزيمتكم إذن .
شابّ ابتسامة المخلوق بعض الفخر ، وهو يقول :
— نعم لا سبيل لهزيمتنا .
تراخت قبضة (نور) إلى جواره ، وهو يغمغم في يأس :
— حسنا .. لقد وَغَيْتِ الدرس .
اتسعت ابتسامة المخلوق ، واتجه نحو (نور) ، وهو يقول
في ارتياح :

— هذا أفضل .
وفجأة .. عادت أصابع قبضة (نور) تنضم وتلتقي ،
وانطلقت القبضة في وجه المخلوق ، و (نور) يهتف :
— نعم .. لقد وَغَيْتِ الدرس تمامًا ..

كانت مفاجأة مذهشة بحق ..
لقد هَوّت لكمة (نور) على فكّ المخلوق ، وبدت كقنبلة ،
وهي تلقيه إلى الخلف ، وتضربه في جدار الحجرة ، ثم تدفعه
مرة أخرى إلى الأمام نحو (نور) ، الذي استقبله بركلة في
معدته ، جعلته ينشني ، ويطلق خوارًا أشبه بصوت فرس النهر ،
قبل أن يعالجه (نور) بثلاث لكمات قوية متعاقبة في فكّه ،
خبأ لها بريق عينيه المضيئتين ، وسقط أرضًا ..

وبسرعة .. راح (نور) ينتزع من حزام المخلوق تلك الكرة
اللامعة ، التي تُطلق أشعة قاتلة ، وهو يقول :

— نعم أيها الحقيير .. لقد وَغَيْتِ الدرس .. لقد تذكَّرت
كيف كان للكمى الأولى أثرها عليك ، حينما باغتك ، على
حين كنت كجدار من الصلب أمام لكمى الثانية ، التي كنت
تنتظرها ، وتستعد لها ، ولقد جعلنى هذا أدرك قدرتك .. إن
أجسادكم عادية ، ولكنكم تملكون القدرة على تحويلها إلى
أجسام صلبة بإرادتكم ، وهذه القدرة لا تنشأ إلا في حال
الشعور بالخطر ، أو الغوص في أعماق حقيقة ؛ لذا فقد
خدعتك بتظاهرى بالاستسلام واليأس ، فتخلَّيت أنت عن
جدارك الدفاعى ، ونجحت في مباغتتك وهزيمتك .

ارتسمت على شففيه ابتسامة ساخرة ، وهو يندفع نحو باب
الحجرة ، مستطرذا :

— كما سأهزم رفاقك كلهم بإذن الله .

تحركت أصابعه على جانبي الباب في سرعة ، بحثا عن وسيلة
فتحه ، حتى عثرت سبَّابه على دائرة دافئة ، وسط الجدران
الباردة ، فداعبها بأصابعه ، وهو يغمغم :
— كيف يمكن التحكُّم فيك يا ثرى ؟

راح يضغط الدائرة ، ويتحسَّسها ، ويدير أصابعه حولها ،
بحثا عن أسلوب تحريكها ، دون أن يتحرَّك باب الحجرة ، ممَّا
كاد يبعث اليأس في نفسه ، فغمغم في خنق :
— اللعنة !!.. هل ستنتهى محاولتى كلها ، عند باب هذه
الحجرة اللعينة ؟!

زفر في قوَّة وحنق ، ثم تراجع ، وصوب الكرة اللامعة إلى
الدائرة ، وهو يقول في حزم وصرامة :
— حسنا .. إنك لم تتركى لى سوى تلك الوسيلة
السخيفة .

وفجأة .. وقبل أن يضغط جانبي الكرة ، تحرك الباب من
تلقاء نفسه ، ووجد (نور) نفسه وجهًا لوجه أمام ابنته
(نشوى) ..

ولكنها لم تكن وحدها ..
كان على جانبيها حارسان ، يحمل كل منهما كرة لامعة
مشابهة ، و.....
وغضب يكفى لقتل (نور) ..

٩ - الأقوى ..

تُرى كم تبلغ سرعة الأفكار في العقل البشري ؟ ..
هل سأل أحدكم نفسه يوماً ذلك السؤال ؟ ..
أهي مثل ، أو أقل ، أو أكثر من سرعة الضوء ؟ ..
لا أحد يدري ..

ولكن المؤكد هو أن عشرات الأفكار قد تدور في الرأس ،
وتتربط ، وتتناسق ، وتترتب ، وتتخذ الشكل المنطقي المتزن ،
في جزء من أعشار الثانية ..
وخاصةً حينما يكون صاحبها في مواجهة الخطر ..
أو الموت ..

لو أنك تعترض على هذا المنطق ، فدعنا نتابع ما حدث
وما دار في رأس (نور) ، في ذلك الجزء من الثانية ، الذي
أعقب رؤيته لابنته ، بين حارسَيْها ..

لقد رأى في عيني ابنته ، التي خاضت تجربة شيطانية أليمة ،
انتزعت منها أجمل سنوات عمرها ، مزيجاً من الدهشة والدُعر
والخوف ..

ورأى في عيني حارسَيْها خليطاً من الغضب والشراسة ..
وأدرك أنه لا مجال للتراجع ..
وكان من الضروري أن يفاجئ الحارسَيْن ، حتى يمكنه
هزيمتهما ، قبل أن يبادراه بالهجوم ، أو يحيطا جسديهما بذلك
الغلاف الفولاذي الصلب ..
وعلى الفور ، وفي ذلك الجزء من الثانية ، اتخذ عقله خطة
الهجوم ، وأبرق بها إلى أطرافه ، وبدأ القتال ..
وتحرك (نور) ..

ارتفعت يده ، التي تمسك الكرة الالامعة ، في سرعة ،
وضغطتها أصابعه من الجانبين ، فانطلقت من منتصفها أشعة
قويّة ، أطارت كرة الحارس الأيمن ، في نفس اللحظة التي
اندفع فيها (نور) ، ولكم الحارس الأيسر بكل ما يملك من
قوة في فكّه ، فألقاه أرضاً ، ثم استدار إلى الأيمن ، وغاص
بقبضته اليسرى في معدته ، ثم هوى بالكرة الالامعة على فكّه ..
وصرخت (نشوى) :

— أوى !!

إلا أنها فوجئت بـ (نور) يلتقط معصمها ، ويندفع بها عبر
الرواق الطويل ، الممتد أمامه ، دون أن ينبس ببنت شفة ،
فهتفت مرة أخرى :

— إلى أين يا أبى ؟ .. ماذا ستفعل ؟

هتف في إصرار :

— سنحبط حُطّة هؤلاء الأوغاد يا (نشوى) .. لن
نسمح لهم بغزو كوكبنا ، أو تحطيم بشريتنا .

هتفت في ألم ومرارة :

— كيف ؟ .. إنهم الأقوى يا أبى .

توقّف بغتة ، على نحو كاد يفقدها توازنها ، وهو يهتف في
غضب :

— كلاً .. إنهم ليسوا كذلك .

ثم أمسك كفى ابنته في قوّة ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ،
وهو يستطرد :

— اسمعى يا (نشوى) .. لقد نضج جسدك قبل الأوان ،
وسرق منك هؤلاء الحقراء سنوات عمرك وطفولتك ، ولكن
عقلك مازال يحتاج إلى الكثير ، ليواكب نموّ جسدك .. واعلمى
أن أكثر ما يمنح الآخرين قوّة ، هو أن تؤمن أنهم كذلك ، وأن
أفضل وسيلة لقتال خصومنا هي أن نُوهم أنفسنا بقدرتنا على
هزيمتهم .

سالت على وجنتيها دمة حزينة ، وهي تقول :

— أخطأت يا أبى .. أخطأت في الأمرين .. إن (سادة
الأعماق) لم يكتفوا بتنمية جسدى فحسب ، وإنما راحت
أجهزتهم تلقنتى ، طيلة عشر ساعات كاملة ، قضيتها في غيبوبة
صناعية ، أعقد علوم الأرض والكون ، لرفع درجة ثقافتى
وذكاى ، وتنميتهما إلى أقصى حدّ ممكن .

اتسعت عيناه ، وهو يتطلّع إليها في هلع ، مغمغماً في
انفعال :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا فعلوا بك ذلك ؟

لوّحت بذراعها ، وهي تهتف :

— لأنهم أرادوا أن يصنعوا منى سفيرة بينهم وبيننا ..
سفيرة تصلح لنقل كل آرائهم إلى الأرض ، ونقل كل آراء
الأرض إليهم .

هتف في خيرة :

— لماذا ؟ .. لقد أرادوا إفناء الأرض وأهلها !!

هزّت رأسها نفياً في قوّة ، وهي تقول :

— كلاً .. كانوا يأملون أن يتمّ الأمر بالتفاوض .. بحيث
يتنازل لهم أهل الأرض عن البحر ، ويكتفون بالبر .

هتف (نور) :

— هذا مستحيل !! لا يمكننا أن نحيا بدون البحار والمحيطات .

أجابته ، وهي تبكي في حرارة :
— كانوا سيفنون أهل الأرض ، لو أن هذه هي إجابتهم النهائية .

تراجع في جذّة ، وانعقد حاجباه في غضب ، وهو يهتف :
— كلا يا (نشوى) .. ليست هذه هي الحقيقة .. إن هؤلاء الأوغاد لم يهتموا أبدا بقيام أية اتصالات ، بينهم وبين سكان كوكب الأرض .. إن ما فعلوه بك مجرد تجربة حقيرة ، للحصول على مخلوق أرضي متفوق ، يؤمن بوجودهم ، ويعاونهم في تفهّم ودراسة طبيعة ذلك الكوكب ، الذي سيحتلونه .. مخلوق برّى .

غمغمت في دهشة ، يشوبها بعض الدُغر :
— برّى ؟

عاد يمسك كتفها في قوّة ، وهو يقول :
— نعم يا (نشوى) .. مخلوق برّى .. من الواضح أن قدرتهم على البقاء خارج الماء محدودة ؛ لذا فهم يستعّون لصنع مخلوقات برّية تابعة ، يمكنهم استخدامها ؛ لتفقد البر بعد الاحتلال .. وأنت أوّل هذه المخلوقات .

أخفت وجهها براحتها ، وهي تتراجع مغممة في دُغر :
— يا إلهي ... يا إلهي !!
واتسعت عيناها في رُعب ، ثم نفضت عنها كل هذا فجأة ، وهي تهتف :

— ربّما يا أبى .. ربّما .. ولكن هذا لا ينفي أنك قد أخطأت في الأمر الثاني أيضًا ، فليس من الصواب أن تستهين بقوّة خصمك ، أو تصوّر أنه
بترت عبارتها بغتة ، وحجّظت عيناها ، وهي تصرخ :
— أبى .. احترس !!

كان تحذيرها كافيًا ، ليدفعها (نور) جانبًا ، ويدور على عقبيه في رشاقة ، مواجهًا المخلوقات الثلاثة ، التي تندفع نحوه من نهاية الرّواق ، ويطلق أشعة الكُرّة اللامعة نحوه ..
وأصابته أشعته مخلوقين ، وأسقطتهما أرضًا ، على حين تراجع الثالث في سرعة إلى نهاية الرّواق ، وأغلقه في إحكام ، فهتفت (نشوى) :

— إنهم يسجنوننا هنا .
هتف (نور) في توّثر :
— أظنهم سيعمدون إلى نفس أسلوبهم السابق .. سيغمرون المكان بالماء ، ويرفعون ضغطه .

ارتجف صوتها في رُغب ، وهي تقول :
— ألم أقل لك إنهم الأقوى يا أبى ؟

هتف في حدة :

— هذا لم يتضح بعد .

اتسعت عينا (نشوى) في دُغر ، وتراجعت ، وهي تهتف
بصوت مُختبِق :

— بل اتضح .. انظر .

خفق قلبه في عنف ، حينما تطلَّع إلى حيث أشارت ، فمن جانبي
باب الرّواق ، كان هناك شلالان صغيران من الماء ، ينهران في
قوة ، ويدفعان آلاف اللترات داخل الرّواق ، الذي اكتست
أرضيته بطبقة من ماء المحيط ، راحت ترتفع في سرعة ..
وتلَّفت (نور) حوله في توثر ، و (نشوى) تغمغم في
اضطراب وارتياح :

— إنها النهاية .. سيفرقونا .. سيفرقونا يا أبى .

أمسك معصمها ، وجذبها نحو باب مُغلق ، وهو يقول في
حدة :

— ليس بعد ..

تبعته إلى ذلك الباب ، وراح هو يبحث عن تلك الدائرة
الدافئة في جانبه ، وغمغم في خنق :

— والآن علينا أن نواصل محاولتنا ، للبحث عن وسيلة
استخدام تلك الدائرة اللعينة .

ربّبت (نشوى) على كفه ، قائلة :

— دُع لي هذه المهمة يا أبى .

ثم لمست الدائرة بسبَّابتها ، ثلاث لمسات متتالية سريعة ،
وضغطتها بعد ذلك ، فأصدر الباب أزيزًا خافتًا ، وتحرك في
هدوء ، كاشفًا حجرة متوسطة ، فهتف (نور) في دهشة :

— كيف تعلّمت ذلك ؟

أجابته في هدوء :

— ألم أقل إنهم قد لقنوني كل شيء ؟

تطلَّع إليها لحظة في خيرة ، ثم دفعها داخل الحجرة ، وهو
يقول :

— حسنًا .. سنناقش ذلك فيما بعد .

ولم يكد باب الحجرة يُغلق خلفهما ، وتوضح لهما معالم
الحجرة ، حتى تضاعفت دهشة (نور) ، فلم تكن تلك
الحجرة تحوى سوى أسطوانة معدنية لامعة في منتصفها ،
تعلوها قبة زجاجية ، استقرَّ داخلها جسم كروى أزرق ، يشع
بضوء باهت ، وعلى الجدار المقابل للباب كانت هناك شاشة
راصد كبيرة ، تعلو إطارًا يحوى عشرات الأزرار ..

وبعد لحظات من الصمت ، غمغم (نور) في خيرة :
— ما هذا ؟

أجابته (نشوى) ، في لهجة تحمل القليل من التوتر :
— إنها حجرة الطاقة الرئيسية .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يحدق في القبة الزجاجية ،
هاتفا :

— الطاقة الرئيسية ؟! .. أتغني أن تلك الكرة هي
بتر عبارته في خيرة ، فأكملت هي :

— نعم .. إنها كل طاقة السفينة .
تهللت أسارير (نور) ، وتألفت عيناه ، وهو يهتف :
— يا إلهي !! .. هذا يعني أننا قد أصبحنا الأقوى ..
أصبحنا الأقوى يا (نشوى) .

ثم اندفع نحو شاشة الراصد ، وسألها في انفعال :
— أى تلك الأزرار يوصلني بقائد السفينة ؟

أجابته في اهتمام :
— القرمزى .

أسرع يضغط الزر القرمزى ، فتألفت شاشة الراصد
لحظة ، ثم نقلت إليه صورة قائد المخلوقات المائية ، الذى قال في
جدة :

— أهو أنت أيها الرائد الأرضى ؟ .. لقد ارتكبت خطأ رهيبا
بمهاجمتك إيأى ، والفرار داخل سفينتنا .. أنت هالك لا محالة .
أجابه (نور) في صرامة :

— دغ عنك غطرستك هذه قليلا يا وغد الأعماق ،
واسمعى جيدا .. إننى أطالبك ورجالك بالاستسلام ، والإفراج
عنا ، وترك كوكبنا كله ، وإلا دمرت طاقتكم كلها ، وسجنتكم
هنا إلى الأبد .

بدا التوتر والاضطراب في صوت القائد ، وهو يقول بصوته
الحشن الجاف :

— دمرت طاقتنا .. ماذا تغنى ؟

أجابه (نور) في صرامة :

— إننى الآن داخل حجرة طاقتكم الرئيسية ، ويمكننى أن
أنسف مصدر الطاقة ، فتفقدون كل شيء .

صاح القائد في غضب :

— ويمكننى أنا أيضا أن أغرقك بالماء ، وأسحقك
بالضغط ، و

قاطعه (نور) في حزم :

— سيكون لدى من الوقت ما يكفى ، لتدمير طاقتكم ، قبل
أن أقضى نحبي .



وخفق قلبه في مرارة ، حينما رأى تلك النظرة الجامدة القاسية في عينيها ،
وتلك الكرة اللامعة في قبضتها ، التي تصوّبها إليه ..

زان الصمت لحظة ، ثم غمغم القائد :
— وكيف علمت أنك داخل مركز الطاقة ؟

أجابه (نور) في زهو :

— ابنتي أخبرتنى .

أدهشه ذلك اللمعان القوي في عيني المخلوق المضيئين ،
وتلك الرّئة العجيبة في صوته ، وهو يقول :

— (نشوى) !؟

عقد (نور) حاجبيه في شك ، وهو يغمغم :

— نعم .. (نشوى) .. هل ؟

وفجأة .. وقبل أن يتمّ عبارته ، أدرك كل شيء ..
أدركه بعد فوات الأوان .

أدركه قبل ثانية واحدة ، من ارتفاع صوت ابنته ، وهي
تقول في حزم :

— معذرة يا أبى .. قلت لك إنهم قد لقنوني كل شيء .

استدار إليها في شحوب ، وخفق قلبه في مرارة ، حينما رأى
تلك النظرة الجامدة القاسية في عينيها ، وتلك الكرة اللامعة في
قبضتها ، التي تصوّبها إليه ..

لقد أصبحت تتبع السّادة .. (سادة الأعماق) ..

١٠ - المفاوضات ..

هبطت طوافة قائد البحرية الأمريكية ، على سطح حاملة الطائرات المصرية (فجر) ، وغادرها هو في غطسة واضحة ، سرعان ما تبددت أمام تلك النظرة الصارمة القوية ، التي تطل من عيني قائد القوات البحرية المصرية ، الذي استقبله ، قائلاً في هدوء حازم :

— مرحباً بك على سطح حاملة الطائرات المصرية (فجر) أيها الجنرال .

صافحه قائد البحرية الأمريكية في احترام ، وهو يقول :
— كان يسعدني أن نلتقى في ظروف أفضل يسيادة اللواء .

رفع القائد المصري حاجبيه ، في دهشة مصطنعة ، وهو يتسم قائلاً :

— وما الذي يجعل تلك الظروف أسوأ ؟
عقد الأمريكي حاجبيه الكثَّين ، وهو يقول في صرامة :
— إنكم تنتهكون محيطنا .

هتف المصري في دهشة ضاحكة :

— محيطكم ؟! .. عجباً كنت أظننا في مياه دولية .

ازداد انعقاد حاجبي الأمريكي ، وهو يقول :

— ولكن الأطلنطي محيط أمريكي يسيدي اللواء .

أشار المصري إلى أسفل ، وهو يتسم ، قائلاً :

— ولكن رجالنا يعملون في أسفل ، ونحن هنا لحمايتهم .
رَأَ الصمت لحظات ، وكل من الرجلين يتطلع إلى عيني الآخر في تحد ، قبل أن يغفم الأمريكي :

— لا بأس .. سنتظر حتى يعم انتشالهم وبعدها ..

قاطعته المصري في صرامة :

— وبعدها ماذا ؟

تبادلا نظرات التحدي لحظة أخرى ، ثم أجاب الأمريكي :

— لا شيء .. لا شيء بعدها .

وعاد إلى طوافته غاضباً ، وبات من الواضح أن الموقف على سطح المحيط كالموقف في قاعه ..
كلاهما ينذر بالخطر ..

بالنيران ..

بمحيط ملتهب ..

حزن ومرارة هائلان ، امتلأ بهما قلب (نور) ، وهو يتطلع إلى عيني ابنته في ألم ..

صمت هائل ، ذلك الذي ساد بينهما ، وهي تصوب كرتها القائلة نحوه ..

ثم شقت كلمة (نور) بحز الصمت ..

شقته وشقت قلب ابنته ، وهو يقول في مرارة :

— أنت ؟!

كان من الواضح أن المسكينة تُعاني صراعاً رهيباً في

أعماقها ..

صراع بين ما أملاه عليها (سادة الأعماق) ، وما يمليه عليها

قلبا وضميرها ..

صراع جعل وجهها في شحوب وجوه الموتى ، وأصابها

ترتجف كهزة وسط جبل جليدي ..

وأكمل (نور) :

— هذا ما أعدوك من أجله إذن .. أن تكوني جاسوسة على

قومك .. أن تخونى بنى جنسك .. أن تشاركى في تحطيم
كوكبك .. يا للعار !!

ارتجف صوتها ، وارتجفت أصابعها ، وهي تغمغم في
اضطراب :

— إنها رغبة (سادة الأعماق) .. إنها

صاح القائد عبر شاشة الراصد :

— نعم .. إنها رغبتنا .. اقتليه .. اقتليه أيتها الأرضية .. هذه

أوامرنا .

هتف (نور) في غضب :

— كلاً .. إن أوامر هؤلاء الأوغاد لن تحب بشريتك

وآدميتك أبداً .

سالت الدموع من عينيها في غزارة ، وهي تقول :

— لا أعلم .. لست أدري .. إننى

ازداد ارتجافها على نحو عنيف ، والقائد المائى يصرخ :

— اقتليه .. اقتليه أيتها الأرضية .. إنها إرادتنا .. إنها

أوامرنا ..

تحيل لـ (نور) لحظة أن ابنته ستقتله ، إلا أنها لم تلبث أن

صرخت في ألم :

— كلاً .. لن أقتل أبى .

وألقت الكرة الالامعة عند قدمى (نور) ، ثم انخرطت فى بكاء حار ، فاتجه (نور) إليها ، واحتواها بين ذراعيه بكل حبه وحنانه ، وربّت على رأسها مغمغماً :

— لقد انتهى كل شيء يا بنيتى .. انتهى كل شيء .
ثم التفت إلى وجه القائد ، الذى يملأ شاشة الراصد ، وأضاف فى حزم :

— والآن هل نبدأ المفاوضات ؟

رَأَى الصمت لحظات ، بدا خلالها وجه القائد مُفَعِّمًا بالغضب ، قبل أن يقول فى حِدَّة :

— لاحظ أنك لا تملك كل الأوراق .

ثم غابت صورته عن الشاشة ، تملأها صورة (رمزى) ، بين حارسين من المخلوقات المائية ، يصوبان سلاحيهما إلى رأسه ، مع صوت القائد ، وهو يقول :

— إننا نحتجز رفيقك هذا .

وتتابعت الصور على الشاشة ، لتقل مشهد (محمود) داخل الحوض العلاجي ، و (سلوى) فى زنزانتها ، والدكتور (حجازى) والقبطان فى زنزانهما ، وقال القائد المائى فى حِدَّة :

— إننا نحتجز كل رفاقك .. أى إننا نملك بدورنا أوراقاً رابحة .

قال (نور) فى حِدَّة :

— وأنا أسيطر على حجرة طاقتكم الرئيسية .

هتف القائد فى عَصِيَّة :

— حسناً .. كم سندفع مقابل طاقتنا الرئيسية .

أجابته (نور) فى حزم :

— أريد منكم أن تطلقوا سراحنا جميعاً ، وتعيدونا إلى سطح المحيط .

صمت القائد لحظة ، ثم قال :

— أظنّ هذا يكفى ؟

قال (نور) فى صلابة :

— نعم .. أظنّ ذلك .

قال القائد فى حزم :

— ولكنه لا يكفينا .

هتف (نور) فى غضب :

— ماذا تريدون بالمقابل ؟

ساد الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يقول القائد في هدوء عجيب :

— نريد أن نحري اتصالاً مع السفينة الأرغورانية .
عقد (نور) حاجيه في شك ، وهو يقول :
— لماذا ؟ .. إننى لن أمر (س ١٨) بالتخلّى عن حماية الأرض أبداً ، كما أنه لن يطيع أوامر غيرى .
ابتسم القائد ابتسامة لم ترق لـ (نور) ، وهو يقول :
— ربّما أمكننا إقناعه .

هتف (نور) فى حزم :
— هذا مستحيل !! لن يمكنكم إقناعه أبداً .
هزّ المائى كفيه ، وهو يقول :
— امنحنا الفرصة على الأقل .
امتلات نفس (نور) بالشك والرّية ، وهو يغمغم :
— ولكن

قاطعهُ القائد فى صرامة :
— هذا هو شرطنا ، وإلا فافعل ما يحلو لك .. وسنمنحك نصف ساعة لدراسة الأمر ، وبعدها حطّم مصدر الطاقة لو أردت .

اختفت الصورة على الفور من الشاشة ، واتسعت عينا (نور) فى خيرة ، قبل أن يلتفت إلى (نشوى) مغمغماً فى قلق :

— لماذا يريدون الاتصال بالسفينة الأرغورانية يا ترى ؟
غمغمت ، وهى تجفّف دموعها :
— ربّما يتصوِّرون قدرتهم على إقناع (س ١٨) بالاستسلام .

هزّ (نور) رأسه نفياً فى قوّة ، وهو يقول :
— هذا مستحيل !! إنه لا يطيع سوى صوتى وخذى ، وأجهزته تمتلك قدرة فائقة على تمييز أيّة تسجيلات مزيفة لصوتى ، وهذا يعنى أنهم لن ينجحوا فى خداعه أبداً .
تنهّدت ، وهى تقول :
— صلّهم به إذن ، مادمت لا تخشى ذلك .

هتف فى توثر :
— ولكننى أخشى أن يكون لديهم أسلوب خداعى آخر .
سألته فى اهتمام :
— هل تظن أنه يمكنهم خداع (س ١٨) ؟

صمت طويلًا ، وهو يستعيد كل مارآه من قدرات
(س ١٨) ، ذلك المقاتل الأتلانتى الآلى الأخير (*) ، الذى
نجح يومًا فى صد غزو الأرض (**) ، واحلّ وحده أعظم
الكواكب الاستعمارية فى الكون (***) ، ثم غمغم :

— كلاً .. لست أظن أنه يمكنهم خداع (س ١٨) .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يستدرك :

— ولكن الأمر يحتاج إلى التفكير .. التفكير العميق ..

مرّت المهلة بسرعة بالغة ، حتى لقد بدا وكأن عقارب
الساعة قد تناولت بدورها عقار التّمّ الشيطانيّ ، فاقتصرت
نصف ساعة من عمرها ، وظهر وجه القائد المائى على شاشة
الراصد ، وهو يقول :

— ما قرارك أيها الرائد الأرضى ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

— ينبغى أن نعدلى أولًا بإطلاق سراحنا ، وإعادةتنا إلى

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

(**) راجع قصة (غزو الأرض) .. المغامرة رقم (٤٩) .

(***) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

السطح ، أيًا ما كانت نتائج اتصالك بالسفينة الأرجورانية .
ابتسم المخلوق ، وهو يقول :

— أعدك بذلك .. لقد اتخذنا الخطوات اللازمة بالفعل ،
فأخرجنا صديقكم المريض من الخوض العلاجيّ ، ونقلناه مع
الباقيين إلى غوّاصة خاصة ، تستعد لنقلكم جميعًا إلى السطح .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

— هل يمكننى أن أثق فى وعدك ؟

بدا المخلوق صادقًا للغاية ، وهو يقول :

— إننى لا أخنث بوعدى أبدا .

أومأ (نور) برأسه ، وهو يغمغم :

— حسنًا .. سأخاطر بتصديقك .

ثم اتجه نحو باب الحجرة ، مستطرّدًا :

— سأخاطر بحياتنا جميعًا .

التقى (نور) بزوجته ورفاقه عند الغوّاصة ، التى تستعدّ
لحملهم إلى السطح ، وتعانق الجميع فى حرارة وسعادة ،
ووقف المائون يراقبونهم فى اهتمام ، ثم قال قائدهم لـ (نور) ،
وهو يتسم نفس الابتسامة ، التى لا تُروق لـ (نور) أبدا :

— إننى أنتظر أن تحافظ على وعدك أيضًا ، وتصلنى
بالسفينة الأرغورانية :

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— ألا تخشى أن أستغل الاتصال ، وأطلب من (س ١٨)
مهاجمتكم وإبادتكم ؟

هزّ المخلوق كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

— لماذا ؟ .. إننى أثق بك كثيرًا .

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول :

— لا بأس .. سأفعل .

ضغط القائد أحد أزرار شاشة الرّاصد ، الموجود
بالقاعة ، فارتسمت على الشاشة صورة السفينة الأرغورانية ،
وأشار إليها قائلاً :

— يمكنك إجراء الاتصال ، فهناك جهاز شبيه
بأجهزكم .

اتجه (نور) نحو الجهاز شبه الأرضى ، وفحصه بعض
الوقت ، ثم ضغط أزراره فى تتابع شفرى خاصّ ، وقال :

— لقد تمّ الاتصال .. يمكنكم الآن التحدّث إلى السفينة
الأرغورانية مباشرة .

اتّمت عينا القائد المضيئتين ، على نحو أثار قلق (نور) فى
شدّة ، وهتف القائد بعبارة ما ، بلغته الخشنة الجافّة ، ولم يكد
يتمّها حتى اتسعت عيون (نور) ورفاقه ، وتراجعوا فى رُغب
وذُهل ومرارة ..

فأمام عيونهم ..

وعلى شاشة الرّاصد ..

رأى الجميع انفجارًا رهيبًا ..

انفجار السفينة الأرغورانية ، وانفجار حاجز الحماية
الأرضى تمامًا ..



١١ — الهزيمة ..

كانت مفاجأة مذهلة بحق ..
مفاجأة لم يتصورها أحد قط ..
لقد فجر هؤلاء المائون السفينة الأرغورانية ، غير القابلة
للتدمير ، بوسيلة عجيبة ، لم يدر أحد كتبها بعد ..
وأطل الدهول من عيون الجميع ..
وارتسم في الملامح ..
ورآن صمت رهيب لحظة واحدة ، قبل أن يقطعه قائد
المائين ، قائلاً في ظفر وشماته :
— لقد حطّمناها .. لقد حطّمنا حامية كوكبكم .. لم يعد
هناك ما يمنع قومنا الآن من القدوم إلى هنا .. لقد انتصرنا .
صاح (نور) في غضب :
— أيها الوغد الكاذب .
هتف به القائد في صرامة :
— لست وغداً أو كاذباً أيها الأرضي .. إننى كما أخبرتك ،

لا أخنت بوعودى أبداً .. لقد طلبت منك أن تصلنى بالسفينة
الأرغورانية ، ولكننى لم أحدد هدفى من وراء ذلك أبداً ..
والواقع أننا كنا نسعى لإتمام هذا الاتصال ، بالوسيلة المعروفة
لديكم باسم التواقع العشوائى ، أو التباديل والتوافيق
الطويلة ، وكنا نتوقع أن يحدث ذلك الاتصال بعد ثلاثمائة مليار
محاولة ، أو ست سنوات على الأقل ، ولكنك اختصرت تلك
الفترة إلى ست ساعات فحسب .. أتعلم لماذا كنا نسعى لإتمام
ذلك الاتصال ؟ .. لأن علماءنا قد توصّلوا إلى وسيلة
تدميرها ، باستخدام تردّد صوتى طبقى خاص ، يعتمد على
رفع الموجة الصوتية إلى حدّ نهاية التردّد فوق الصوتى ، ثم
إيقافها بما يُطلق عليه اسم التوقّف الحرج (*) ، ولا توجد مادّة في
الكون كله يمكنها احتمال هذا التوقّف الحرج ، بمثل هذه
الصورة .. ولقد رأيتكم بأنفسكم كيف تسبّب ذلك في نفس

(*) من المعروف علمياً أن أى صوت ينشأ من الصفر ، ثم تتعالى
شدّته ، حتى يبلغ ذروته ، ويعود بعدها للانخفاض تدريجياً ، حتى يصل
إلى الصفر ، أما بالنسبة للتوقّف الحرج ، فالصوت يصل إلى ذروته ، ثم
ينخفض إلى الصفر دفعة واحدة ، وهذا ما يسعى العلماء لتفزيده منذ
السبعينات ، كسلاح حربى .

سفيتكم الحامية ، حينما أرسلنا إليها موجتنا فوق الصوتية ،
غبر أجهزة الاتصال ، ثم أوقفناها على النحو الحرج .

غمغم (نور) في مرارة :

— إذن فقد تسببت أنا في أن تفقد الأرض أقوى أسلحتها
وخطوطها الدفاعية .

ابتسم القائد في شماته ، وهو يقول :

— هذا صحيح .. ولكنه لا يغني أننى لن أفي بوعدى ..
سأطلق سراحكم الآن ، وأعيدكم بغواصتكم إلى السطح ،
حتى تشاركوا أهل الأرض مصيرهم ، عندما نرسل إليكم
الدفعة الثانية من عقار التمو ، بعد أن دمرنا أسلوب مقاومتكم
له ..

اعتدل (نور) ، ونصب قامته في اعتدال ، وهو يقول :

— أظن أنك قد انتصرت هكذا ؟

ابتسم القائد المائى ، وهو يقول في فخر :

— بالتأكيد .

هز (نور) رأسه نفياً في بطاء ، وهو يقول في حزم :

— كلاً .. إنك لم تنتصر بعد .

هتف القائد في غضب :

— ماذا تغنى ؟

قبل أن يجيبه (نور) ، ارتفع صوت خشن جاف غبر
أجهزة الاتصال ، فارتسم القلق على وجه القائد ، وأسرع نحو
شاشة الراصد ، فضغط أحد أذرعها ، وتطلع الجميع في اهتمام
إلى ذلك الجسم ، الذى نقلت الشاشة صورته ، وهو يشق
طريقه في أعماق المحيط ، نحو سفينة المائين ، وابتسم (نور)
في سخرية ، وهو يقول :

— هل رأيت ما أغنيه ؟ .. إنكم بأسلوبكم لم تنتصروا ،
وإنما أشعلتم فتيل هزيمتكم .. وها هو ذا أقوى سلاح أرضي
يقرب .

اتضححت في تلك اللحظة صورة الجسم المقرب ، فوجد
(رمزي) و (محمود) و (سلوى) أنفسهم يهتفون في
سعادة :

— (س ١٨) .

ولم تكد حروف كلماتهم تتلاشى ، حتى اخترق (س ١٨)
جسم سفينة المائين ، وانقلبت الأمور كلها رأساً على
عقب ..

نستطيع أن نقول ، دون أدنى مجاملة أو مبالغة ، أن توقعات (نور) ، بالنسبة لـ (س ١٨) تكون دائماً على درجة مدهشة من الصواب ، مما لا يترك سوى نسبة مهملة من احتمالات الخطأ ..

ولا أحد يدرى السر في ذلك ..
ربما لأن (نور) يدرك قدرات (س ١٨) الرهيبة ..
أو لأنه يثق في حضارة أجداد كوكب الأرض الأتلاتية القديمة .

أو بسبب تلك العلاقة ، التي نشأت بينه وبين (س ١٨) ..
صحيح أنه من غير المنطقي أن تنشأ علاقة ما ، بين رجل وآلة ، إلا أن (نور) كان يشعر نحو (س ١٨) بما يشبه الصداقة ..

ولن نستطرد في مناقشة ذلك الأمر ، أو نسهب في دراسته ، وإنما سنكتفى بقول إنه ولسبب ما ، صدقت توقعات (نور) ، بالنسبة لـ (س ١٨) تماماً ..

لقد كان (س ١٨) يقود تلك السفينة الأرجورانية ، في مجالها المرسوم حول الأرض ، حينما بدأ الاتصال بينه وبين سفينة المائين ، في أعماق الأطلنطي ..

وسجلت أجهزته نقطة الاتصال ، وموقعه ..

ثم أطلق المائيون موجتهم فوق الصوتية القاتلة ..
وبسرعة تفوق سرعة الصوت ، أدرك (س ١٨) خطورة تلك الموجة ، فأسرع يحيط جسده بغلاف واقٍ ، أعده له صانعوه خصيصاً ، لصد أعنف القوى في هذا الكون ..
وانفجرت السفينة ..

انفجرت ومحت معها غلاف (س ١٨) الواق ، وجزءاً كبيراً من طاقته ..

ووجد (س ١٨) نفسه يسبح في الفضاء ، وسط أشلاء السفينة ، وأدركت أجهزته أنه يواجه أعداء ، لا بد له من مهاجمتهم ، وتدميرهم ..

وأشعل (س ١٨) أجهزة ، وانطلق بواسطة نفائاته الدفاعية ، يخترق الغلاف الجوي الأرضي كالنيزك ، مسترشداً بالإشارة التي التقطها مسبقاً ، والتي حددت أجهزته بواسطتها موقع سفينة المائين ..

وغاص جسد (س ١٨) في أعماق الأطلنطي ..
كانت المادة التي صنع منها جسده بالغة القوة والمتانة ، إلى حد لم يعرفه كوكب آخر في الكون بعد ، إلا أن غوصه إلى ذلك

العمق ، بعد أن انمحي غلافه الواقى ، كان يستهلك الكثير من
طاقته فى سرعة وشدة ..

وبلغ (س ١٨) سفينة المائتين ..

واخترقها ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

لم يكد (نور) يلمع اختراق (س ١٨) لجدران السفينة ،
على شاشة الراصد ، حتى صاح برفاقه :

— أسرعوا إلى الفؤاصة .. سيغمر ماء المحيط كل شىء بعد
لحظات .

أسرع الجميع نحو الفؤاصة الصغيرة ، واحتشدوا
داخلها ، ولكن قائد المائتين هتف فى غضب :

— لن أسمح لكم بمغادرة ذلك المكان ، قبل أن تأمر ذلك
الآلى البشع بالتراجع .

صاح (نور) فى صرامة :

— هذا مستحيل !! أنتم أثرتموه ، وعليكم أنتم أن
توقفوه .. إننى لن أسمح لكم باحتلال كوكبنا أبدا .

خفت بريق عيني القائد ، وهو يهتف :



وغاص جسد (س ١٨) فى أعماق الأطلنطى ..

كانت المادّة التى صنّع منها جسده بالغة القوة والمتانة ..

— ولكن هذا هو أمل شعبنا الوحيد .. لو لم نرسل إليهم إشارة بنجاحنا ، فسيغنى هذا أن يقضوا نجيبهم على كوكبنا .. صدقنى .. احتلال كوكبكم هو أملنا الوحيد .

هتف به (نور) :

— أنتم أضعم هذا الأمل بإصراركم الاستعماري .

تراجع القائد ، وهو يقول فى صرامة :

— لا بأس .. ولكننا لن نقضى وحدنا .. ستذهبون معنا .

واستدار فى سرعة ، وضغط زراً خاصاً إلى جواره ، قبل أن

يهتف فى لهجة أقرب إلى الجنون :

— لقد أشعلت جهاز التفجير الذاتى .. ستفجر حجرة

الطاقة الرئيسية بعد دقيقتين ، وتفجر سفينتنا ، ويذهب كل

شئ .. لقد هزمتك أيها الرائد الأرضى .. هزمتك أنت على

الأقل .

كانت تلك المهلة لا تكفى حتى لإدارة أجهزة الغواصة

الصغيرة ، والابتعاد بها ، قبل أن ينفجر كل شئ ، وشعر

(نور) أنها حقاً النهاية ، وتراجع نحو الغواصة ، صارخاً فى

خفق وغضب :

— أيها الوغد !

صاح قائد المائتين فى ثورة :

— سذهب معنا ، مادامنا لم نتصر وخذنا .

وفجأة .. اخترق (س ١٨) جدار القاعة ، وتوقف وهو

يتطلع إلى (نور) ، الذى لم يكذب يراه حتى انتعش الأمل فى

صدره ، وهتف وهو يقفز داخل الغواصة :

— (س ١٨) .. أخرج غواصتنا من هنا .. أخرجها

بأقصى سرعة ممكنة .

كان (س ١٨) يخترق الجدران ، فى طريقه إلى حجرة

الطاقة الرئيسية ..

كانت أجهزته قد فقدت مقداراً هائلاً من الطاقة ، وكان

يحتاج إلى مقدار آخر منها ، وأنبأته أجهزته أنه سيجد ذلك

المقدار فى حجرة الطاقة ..

ثم تلقى أمر (نور) ..

وعلى الفور أهمل (س ١٨) ضرورة التزود بالطاقة ، وقرر

تنفيذ أوامر (نور) بلا إبطاء ، مادام لديه ما يكفى من الطاقة

لذلك ..

وبسرعة وقوة مذهلتين ، حمل (س ١٨) الغواصة

١٢ - الختام ..

تراقصت حاملات الطائرات المصرية والأمريكية ، وتخبّطت في قوّة ، إثر تلك الاضطرابات الهائلة ، التي سادت سطح المحيط ، مع انفجار سفينة المائين ، وأسرع القائد الأمريكي يتصل بنظيره المصري ، قائلاً في توتر :

— ماذا يحدث بحق السماء ؟ .. لقد انفجرت السفينة الأرجورانية أولاً ، ثم هبط نيزك مخيف في المحيط ، وبعدها حدث ما يشبه انفجاراً نووياً في الأعماق .. فما الذي يفعله رجالكم في أسفل ؟

أجابه القائد المصري في توتر مماثل :

— لست أدري بالضبط ماذا يحدث .. ولكن من الواضح أن قرار المحيط يحمل لنا سرّاً غامضاً مخيفاً .

هتف الأمريكي في عصبية :

— وماذا عن رجالكم ؟

أجابه المصري في مرارة :

— لا أظننا سفراهم مرّة أخرى .. فما من بشري يمكنه أن

ينجو من مثل هذا الانفجار .

الصغيرة ، واندفع بها مخترقاً جدران سفينة المائين ، ومبتعداً عنها في الأعماق ..

وراحت طاقته تقل وتنضب في سرعة ، وهو يستهلكها استهلاكاً شرهاً نهماً ..

وفجأة .. حدث الانفجار ..

انفجار هائل ، ارتجّ له المحيط الأطلنطي ..

انفجار يكفي لتحطيم غواصة (نور) ورفاقه ..
تحطيمها تماماً ..



وصمت لحظة ، بسبب غصّة ملأت حلقه ، قبل أن يُردف :
— لا أحد .

كان من الطبيعي حقًا أن يتسبّب ذلك الانفجار في الإطاحة
بغواصة (نور) ورفاقه تمامًا ..

لولا (س ١٨) ..

لقد استفد ذلك الأتلاتي الآلي الأخير كل قوّته وطاقته ،
لحفاظ على الغواصة ، وإنقاذ الأرضيين ..

ونجت الغواصة ..

نجت بفضلها ..

وأدرك الجميع ذلك ..

وبكل فخر وسعادة ، هتف (نور) مخاطبه :

— أحسنت يا (س ١٨) .. لقد أنقذتنا .. لقد أنقذت

كوكب الأرض كله للمرة الثالثة .

نطق (س ١٨) بالعبارة الوحيدة ، المسجلة في برنامجها :

— (س ١٨) في خدمتك يا سيّدي ..

ولكن طريقة نطقه لها لم تُرق لـ (نور) ، الذي هتف في قلق :

— ماذا هناك يا (س ١٨) ؟ .. هل تُعاني أجهزتك افتقارًا

للطاقة ؟

أجابه (س ١٨) بصوت متقطع :

— (س ١٨) في .. في .. خدمتك .. يا .. سيّدي ..

واتسعت عيون الجميع في هلع ، حينما توقفت فجأة أجهزة
(س ١٨) وتجمّدت أطرافه كتمثال من الفولاذ ، وراح
يفوص في أعماق المحيط بفعل ثقله ..

شهق (رمزي) و (محمود) في جزع ..

وصرخت (سلوى) تناديه ، كما لو كان مخلوقًا حيًّا ..

وأغلق الدكتور (حجازي) عينيه في ألم ..

وحذّق القبطان فيما يحدث بخيرة وذُهل ..

أمّا (نور) ، فقد ترقّرت الدموع في عينيه ، وهو يهتف في لوعة :

— (س ١٨) ..

ولكنه لم يتلقَ جوابًا ، فقد كان (س ١٨) يفوص ..

ويفوص .. ويفوص ..

والغواصة ترتفع ، وترتفع .. وترتفع ..

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفّتي الدكتور (عبد الله) ،

مدير مركز الأبحاث ، التابع لإدارة المخابرات العلمية المصرية ،

وهو يقول لـ (نور) :

— حمدًا لله على سلامتك يا (نور) ، وعلى سلامة فريقك

كله .. لقد تم فحص الجميع ، وهم بخير والحمد لله .. لقد
حققتم انتصاراً رائعاً جديداً يا فتى .

ابتسم (نور) في حزن ، وهو يقول :

— نعم يا سيدي .. لقد أنقذنا كوكب الأرض .

عقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، وهو يقول في دهشة :

— وكيف يمكنك أن تنطق تلك العبارة الرائعة ، بكل هذا

الحزن ؟

أجابه (نور) في مرارة :

— لأن خسائرنا انشخصية مؤلمة يا سيدي .. لقد نمت

ابتنا (نشوى) قبل الأوان ، وفقدت سنوات طفولتها ،

وخسرت جزءاً من عمرها ، وفقدنا (س ١٨) إلى الأبد .

تهنأ الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— ستكيف (نشوى) على وضعها الجديد يا (نور)

وستكيفان عليه أيضاً أنت و (سلوى) .. أما بالنسبة

لـ (س ١٨) ، فما زال هناك الأمل في استرجاعه .

ابتسم (نور) في مرارة ، وهو يقول :

— كيف ؟ .. إنه يرقد الآن على عمق سبعة كيلومترات ،

في قرار الأطلنطي .

ابتسم الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— من يدري ؟! .. لقد قادتك المصادفة يوماً إلى العثور
عليه في (أرغوران) ، على بعد عشرات السنوات الضوئية ..
أليس كذلك ؟

تلاشت المرارة من ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

— بلى .. لا ينبغي أن نفقد الأمل يوماً .

صافحه الدكتور (عبد الله) ، واتسعت ابتسامته ، وهو

يقول :

— على أية حال ، مرحباً بعودتك إلى الصفوف يا (نور) ،

ومرحباً ببدء عهد جديد في المختبرات العلمية المصرية ..

تشاءب أحد علماء الفلك المصريين ، وهو يناول زميله

بضع صور فوتوجرافية ، قائلاً :

— هل شاهدت ذلك ؟ .. لقد سجل المرصد الفضائي تلك

الصور ، من موقعه عند كوكب (نبتون) ، وأرسلها لنا بالليزر .

تناول زميله الصور في تكاسل ، وهو يسأله :

— وما هي بالضبط ؟

عاد الأول يشاءب في ضجر ، وهو يجيب في روتينية :

— إنها صور فناء نجم قريب ، تضخم ، والتهم كواكبه ،

ثم خبا ، وفنى .

هز زميله كفيه ، وهو يقول في لامبالاة :

— هذا يحدث كل يوم يا صديقي .. وما هي إلا بضعة
ملايين من السنين ، وتشهد شمسنا نفس النهاية .. إنها دورة
حياة الكون يا صديقي ..

نعم .. إنها دورة حياة الكون ..
كواكب تفتى ، وأخرى تنشأ ..
حضارات تنهار ، وأخرى تنمو ..
حياة تنتهى ، وأخرى تبدأ ..
إنها دورة الكون ، وسنة الحياة ..

ولكن هذا النجم ، الذى تحدثنا عنه ، كان يغيينا هذه
المرّة ..

لقد كان شمس كوكب عظيم ..
كوكب التهمته شمسه ، قبل أن نخبر وفتى ..
كوكب جاءت إلى أرضنا يوماً طلائع غزوه ، قبل أن تفتى
حضارته ..

باسم

كان كوكب سادة الأعماق ..

www.dvd4arab.com

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥